رواية

التائه

الجزء الأول

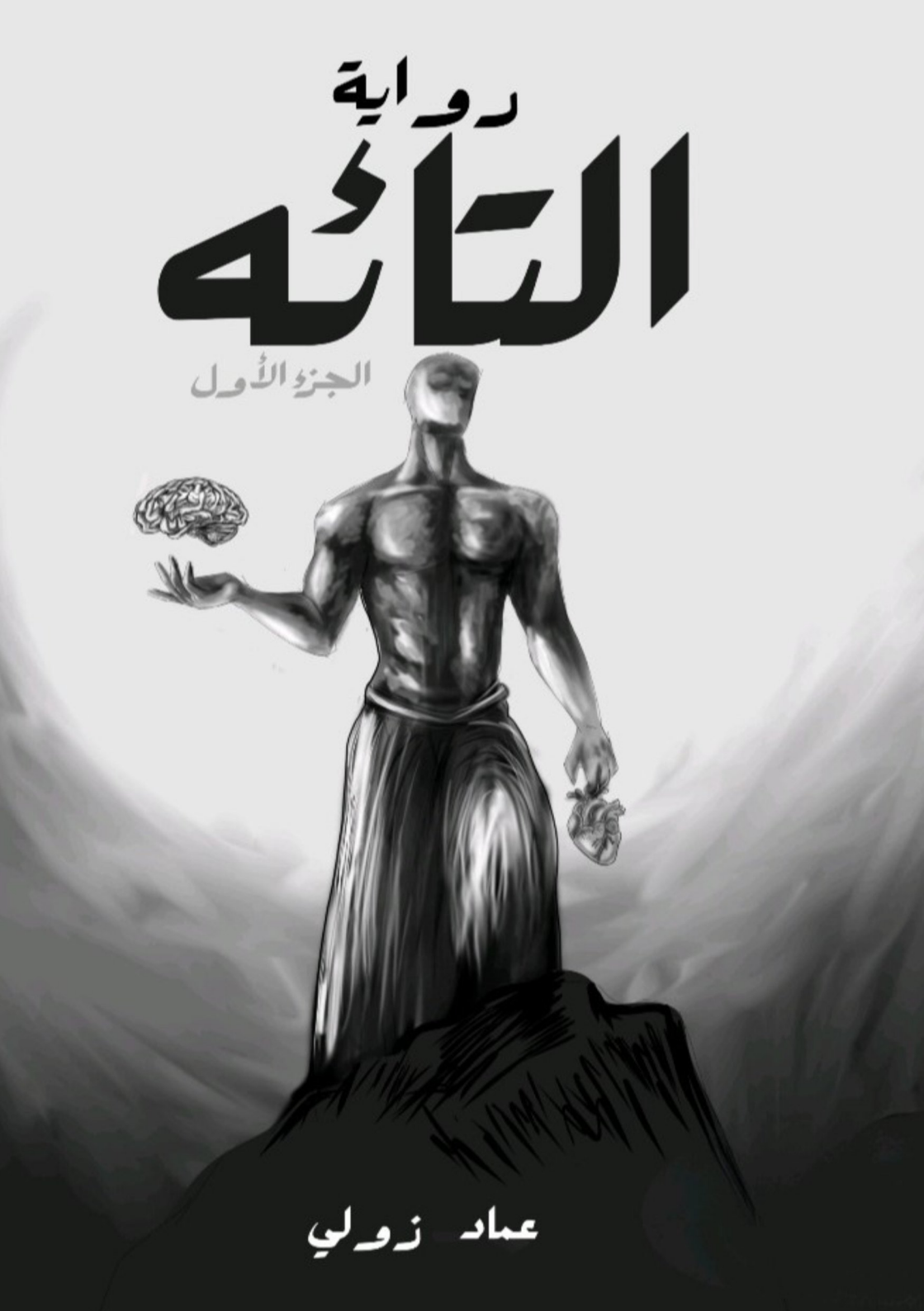

عماد زولي

التائه

الجزء الاول

عماد زولي

- الكتاب : التائه
- الكاتب : عماد زولي
- صاحب الرسمة : عبد العالي مساعدي
- رقم الإيداع القانوني:
- ردمـــــــــك:
- الطبعة الأولى: **2025**

- جميع الحقوق محفوظة

- الطبع: مطبعة وراقة بلال – فاس / المغرب
- الهاتـف / الفاكـس: 05.35.61.86.03
- العنوان: رقم 204 شارع المدينة المنورة حي الأمل / النرجس - فاس

إهداء

إلى من زرعوا الحب في قلبي
خالتي طيبة الفؤاد عمي منبع الاحترام ، أبي شمعة حياتي أمي
منبع الحنان
أصدقائي الذين كانوا معي في كل لحظة، وحبيبتي إيمي
أهديكم هذه الرواية لعلها تعبر عن مشاعري تجاهكم...

تهانينا

بالمناسبة قد سامحت من ضلمني من قلبي ، وسألت لله أن يرزقنا جميعا
الهداية و الرضا والنور في القلوب

شكر وتقدير

مقدمة

التائه (الجزء الأول)

أنا ابنُ اللحظات المتناقضة بين ضحكةٍ خبّأت خلفها وجعًا، ودمعةٍ أنجبت بعدها نورًا كتبتُ من حزني عزفًا، ومن فرحي صمتًا، وفي كل نبضةٍ من نبضات قلبي، كنتُ أبحث عني بين وجوه الناس، وعن السلام في فوضى الحياة هذا الكتاب ليس حكايةً سعيدة، ولا مأساةً حزينة، بل هو أنا حين كنتُ كل شيء ولا شيء في آنٍ واحد

إلى أولئك الذين يعتقدون أنهم ضائعون

لكنهم في الحقيقة أقرب إلى أنفسهم من أي وقت مضى

هذه ليست مجرد رو اية، بل خريطة وجع ووعي

التائه هو انعكاس لرحلة داخلية لا تظهر على ملامح الوجه، بل في تفاصيل الحياة اليومية: كأس خمر مهتز على طاولة فارغة، ورقة قانون مكرمة في جيب معطف قديم، فكرة رقمية وُلدت ولم تجد من يحتضنها

هي حكاية شاب عادي، يشبهك يحب الخمر لا لأنه يهوى الضياع، بل لأنه لا يجد بابًا آخر للراحة المؤقتة معا

التائه ليست مجرد قصة، بل هي اعتراف صريح بحكايات أولئك الذين ضلّوا الطريق بحثًا عن ذواتهم، عن الحب، عن وطنٍ داخلي يحتضنهم حين تعصف بهم الريح

في طيات هذا العمل، ستجدون مشاهد تنبض بالمشاعر، وصراعات اجتماعية تُروى بصدق وجرأة حبٌ يزهر في لحظات غير متوقعة، وأسئلة تُطرح دون إجابات جاهزة فقط الحقيقة كما هي، عارية مؤلمة أحيانًا، لكنها تحمل في طياتها بصيص أمل

التائه ليست نهاية القصة، بل بدايتها فثمة جزءٌ ثانٍ ينتظر النور، يحمل عنوان أمي أم زوجتي؟ حيث تتواصل الحكاية، ويتعمق الصراع بين الانتماء والاختيار، بين العائلة والقلب

هذه الرواية لمن أضاع نفسه ذات مرة، ولمن وجدها بين صفحات كتاب

أحاول النوم لكن الأفكار تسبقني إلى الوسادة

تتسلل كهمسات خافتة، ثم تتضخم حتى تُغرق رأسي في ضجيج لا يُطاق

عقلي مسرحٌ لفوضى الصور

لقطات متشابكة من ماضٍ لا يُنسى، وحاضرٍ يضجّ بالتساؤلات، ومستقبلٍ يلوّح لي بغموضه

كل صورة تحمل شيئًا: خوفًا، قلقًا، وربما لمحة فرحٍ تختبئ في الزوايا، كأنها تخجل من الظهور

أحاول أن أطفئ ذاكرتي، أن أُغلق أبواب التفكير،

لكن العتمة ليست هدوءًا إنها لونٌ كثيف من الذكريات،

لونٌ يشبه السواد، لكنه ليس سوادًا تامًا

فيه خيوط باهتة من ضوء، كأن الأمل يرفض أن ينطفئ تمامًا

أشعر وكأنني أسقط ببطء في هوّة لا قرار لها،

أتمسّك بظلّ حلم، بذكرى، بصوت،لكنني لا أصل إلى شيء فقط ظلام،

يُشوش رؤيتي، ويبتلع محاولاتي للنسيان وهكذا، أبقى مستيقظًا في جسدٍ مُنهك،

أعيش صراعًا صامتاً بين ما كان، وما سيكون

وبينهما قلبٌ لا يعرف كيف يهدا

وبينما أنا أتأمل من النافذة قطر اتالمطر الهادئة، بعد عدة محاولات لكي أنام، فجأة شعرت بالحنين إلى طفولتي الجميلة وتذكرت لحظات طفولتي الجميلة أتأمل كل الأحداث تلك التي فيها الحزن وتلك السعيدة، وأتأمل لقطات حياتي من طفولتي عندما كان كل شيء جميلًا عندما كانت أعظم مشاكلي هي امتحان حفظ الدروس وشراء الحلوى كانت أحلامي بسيطة، سعادة بسيطة، فقد كانت سعادتي تُختصر في مشاهدة التلفاز أو بدراهم قليلة أما الآن، فقد أصبحت شابًا، طالبًا، ولم أعد أشعر بكل تلك الأشياء لا مشاكل، ولا سعادة أنا مشوش الأفكار، أبحث عن الاستقرار

أصبح النظر إلى المستقبل غير واضح حتى الآن، لم أعلم كيف مرت الأيام ، أشعر أن كل شيء يسير بشكل مُصطنع أضع الخطط وأحاول السير بخطوات ثابتة، لكن في النهاية، أجد نفسي مُفاجَأً بحدث مُغاير كان مستقبلي أن أكون جندياً، وقد أخبرني الجميع أن مصيري سيكون مثل مصير إخواني لكن لم تُندع لي أي مباراة كنت منبهرًا كيف يحدث ذلك، فأخبرني البعض أن النقطة ضعيفة، وآخرون نصحوني بالتحدث مع شخص ما ومنح المال كرشوة جربت كل الحلول، لكن القدر لم يكن معي

بعد فترة من المحاولات، حاولت مواصلة دراستي، أحببت المعلومات، ولكن بعد ألف محاولة، وجدت نفسي في نفس المصير تحدثت مع المدير في المدرسة العليا للتكنولوجيا، وأخبرني أن نقاط البكالوريا ضعيفة ولا يمكن إضافتي شعرت أن كل شيء قد أُغلق في وجهي بعد أيام، تجدد الأمل، ووجهتي من خنيفرة إلى مكناس لم أعرف أي شعبة أختار، كان علم النفس، لكنني تراجعت الفلسفة وعلم الاجتماع لم تكن أكثر فائدة، ونصحني الجميع بالقانون لم أتردد، قمت بوضع ملفي في كلية الحقوق وفي

نفس اليوم، وجدت بيتًا للإيجاروالدي تاجرصغير، وإخوتي كل منهم لديه مشاكله ،غرقت في التفكير حول كيفية العيش، وبدأت أبحث عن عمل من شارع إلى آخر، وضعت ورقة تعريف في كل الشركات، لكن لم يتصل بي أحد

في الأسبوع الأول، شعرت بالحيرةوالتحطيم، وفجأة، في مقهى قرب الجامعة، كان أحدهم يبحث عن مساعد بناء لم أشعر حتى بنطقي كلمة أنا ، ثم سألني إن كنت قد عملت سابقًا في هذا المجال، وقلت كذبًا نعم أخذني معه في صباح ذلك اليوم، وكنت أرتدي ملابسي العادية، سروالًا وحذاءً ممزقًا قليلاً كان العمل شاقًا، أحمل كيس الرمل من أمام باب المنزل إلى الطابق الثالث عملت لمدة ست ساعات تقريبًا، وفي النهاية، أخبرني أن أعطيه رقم هاتفي لكي أعمل معه، وأعطاني مئة درهم أخذتها وذهبت إلى المنزل، وتأملت في حالي تأكدت حينها أنني مُسيركليًا

في الجامعة، رأيت كل شيء، من أجناس ولغات وأصناف وطبقات وما زلت منبهرًا، أحاول معرفة مستقبلي، لا شيء أصبح يسعدني سوى قوارير الخمر شهدت كل الألم من ينتحر، ومن يغتصب ابنته، ومن يسعى للفشل، ومن

يضرب أمه. وحتى الإمام يزني مع زوجة صديقه، وكل يوم فضيحة تُذاع على مواقع التواصل الاجتماعي لا شيء أصبح يسعدني

لا شيء يسعدني غير طفولتي تلك، التي قضيتها بين منزلين منزل أبي التاجر وأمي وإخوتي، حيث كنت الثالث بينهم، ومنزل عمي وزوجته، التي هي خالتي، وأبناء عمي الثلاثة، بينهم تلك الأخت الكبرى أو الأم الثانية. منزلي الأول علمني كيف أطور نفسي، كيف أعيش بكل الأحداث التي تحيط بي، من قسوة الزمان على والدي وصراع زوجتي إخواني، وحتى شعبية والدي التي ربتني على أن أكون اجتماعيًا. كان والدي، ولا يزال، يحب جمع كل إخوتي وعائلتنا، والتعارف والتعايش مع الجميع، وأن تكون الرحمة والمودة والابتسامات حاضرة رغم كل المشاكل ورغم بلوغه الستين، ما زال يحب أن يأخذ مشاكله بدون جدية

أما المنزل الثاني، فهو البيت الذي يغمره الهدوء، حيث تعلمت فيه الأخلاق لن أنسى تلك الأحداث فيه كنت أتخيل نفسي بطلًا، أرتدي غطاءً وأحمل عُزافة عمي التي كانت

سيفي، وأضع الوسائد كأنني أعد العدة للقتال كنت دائمًا، في كل ليلة أكون فيها في ذلك المنزل، أعيش قصصًا خيالية

عندما كانت والدتي تُعد الغداء، كان لي نصيبين من الطعام، وكانت تلك الوجبة عادية أما خالتي، فكانت تفضلني على أبناءها الثلاثة ، بينما كانت وجبة العشاء غالبًا ما تكون عند خالتي، بيضة لكل شخص مع زيت، وكان الشرط لتناولها هو أن يحضر عمي

وفي كل تلك اللحظات، كنت أعيش فرحة الطفولة، رغم كل الظروف، إلا أن حنين الماضي لا يفارقني، وكأن الزمن يجمع بين الحزن والفرح في قلبي. أسترجع تلك الذكريات بشغف، وأدرك أن في قلب كل إنسان فرحة قديمة قد تتجدد، حتى في أحلك الظروف .

أما الآن في عصرنا هذا، تبدو الحياة وكأنها فقدت ملامحها القديمة، تلك التي كانت مليئة بدفء العلاقات وعمق اللحظات. أصبحت الأسرة، التي كانت يومًا محور الحياة والسكينة، تتلاشى شيئًا فشيئًا، وكأن مفهومها نفسه بدأ يذبل تحت وطأة هذا الزمن ، لم يعد هناك ذلك التجمع العائلي الذي كان يملأ المكان بالضحك والحديث

العفوي رحل التلفاز، الذي كان يجمعنا حوله في ليالي الشتاء، ليحل محله الهاتف، ذلك الجهاز الصغير الذي سرق منا الأحاديث الحميمة وحول كل فرد إلى جزيرة معزولة، غارقًا في عالمه الخاص.

كم نفتقد تلك الأيام البسيطة، حين كانت العائلة تجتمع على طاولة واحدة، تتشارك الطعام والحكايات. أما الآن، فقد أصبحنا غرباء تحت سقف واحد، لكل منا نافذته الرقمية التي تبعده عن الآخر، ولحظاته الخاصة التي لا يشاركها أحد. صار التواصل الحقيقي يتلاشى، واستبدلناه برسائل باردة وشاشات خالية من المشاعر.

وما يزيد الحزن هو ذلك المحتوى الذي بات يحيط بنا من كل جانب. كنا نبحث عن الفائدة، ولكننا وجدنا أنفسنا في بحر من الأخطار، حيث التزييف والسطحية يطغيان على الحقائق والجمال. أصبح العالم مكانًا صغيرًا بالفعل، ولكنه أيضًا صار خاليًا من العمق. المسافات تقلصت، نعم، ولكن الأرواح ابتعدت أكثر من أي وقت مضى

نشعر اليوم وكأننا فقدنا شيئًا عزيزًا، شيئًا لا يمكن تعويضه. فقدنا الدفء الذي كنا نستمده من العائلة،

والراحة التي كنا نجدها في أحاديث المساء. لم يعد العالم كما كان، ولم نعد نحن كما كنا. أصبحنا نعيش في زمن يسرق منا كل ما هو جميل ببطء، حتى أصبحت قلوبنا مثقلة بحزن لا نفهمه، وحياة تشعرنا أننا وحدنا، رغم أننا متصلون بكل شيء

أنا الآن، ورغم كل هذا، أعلم يقينًا بكل السلبيات التي يحملها هذا العالم المتغير. أعلم كيف فرّقتنا التقنية بعد أن وعدتنا بالتقريب، وكيف جعلت الهواتف الذكية منّا أسرى لشاشات لا تنطفئ. أدرك جيدًا أنها سلبت منا دفء اللقاءات، وأغرقتنا في بحر من العزلة والسطحية، ولكن مع ذلك، لا أستطيع أن أنكر أن الهاتف أصبح صديقي الأقرب، الرفيق الذي لا يفارقني.

في كل لحظة، أجد نفسي أعود إليه، وكأنه نافذتي الوحيدة التي أطل منها على هذا العالم. هو مستودع ذكرياتي، حارس رسائلي، وموقد أحلامي الصغيرة التي أكتبها على عجل في ملاحظاته. أصبح ملجئي عندما أحتاج إلى الهروب من واقعي، وأحيانًا عزائي حين تضيق بي الحياة.

في صمته، أجد صوتي، وفي شاشته الصغيرة، أجد امتدادًا لعالمي الداخلي الذي لا أشاركه مع أحد

لكن، يا للمفارقة أحيانًا أشعر أنه يثقل كاهلي بدل أن يخففه. أستيقظ كل يوم و أنا أمسك به كأنه جزء من يدي، وأغفووهو بجانبي كأنه الحارس الذي لا ينام. أعلم أنه يأخذ من وقتي أكثر مما يعطيني، و أنه يجعلني أبتعد عن من أحب أكثر مما يقربني. ومع ذلك، لا أستطيع التخلي عنه، وكأنني وجدت فيه صديقًا ير افق وحدتي، حتى لوكان ثمن ذلك أن أبتعد عن العالم الحقيقي أكثر فأكثر

ربما نحن في معركة صامتة مع هذا الصديق المخلص، مع هذه الشاشة التي صارت تملكنا أكثر مما نملكها. ورغم كل شيء، ما زلت أمسك بهاتف بيدي، كأنه قطعة مني لا أستطيع الفكاك منها، رغم أنني أعرف أنه، مثل هذا العالم، يحمل في داخله النوروالظلام معًا

طال الحديث مع نفسي لكي أنام لا جدوى ، فجأة رن هاتفي إذ هورقم مجهول فأجبت لكي أعلم من المتصل

ألو من معي؟

فرد قائلا: وعليكم السلام

ولما سمعت نبرة صوته أدركت أن هذا الصوت ليس غريبا عني

قل لي من أنت؟ هل أنا أعرفك؟

ألا تتذكرني أيها الأبله

أجبته منبهرا وأنا في شك اني أعرف صاحب هذا الصوت من نبرته يوسف

نعم انا يوسف كيف لك أن تنسى صديقك المقرب؟

لا يصديقي العزيز أنا لم انساك، إن أصدقاء طفولتنا في الغالب هم أكثر صدقا في صداقتهم لنا لذلك لا يمكننا نسيانهم او حتى لا نفكر بهم، يكفي اننا عشنا معهم أجمل اللحظات في حياتنا وهذا مرسوخ في ذاكرتي إلا الابد، محظوظون أولئك الذين طالت صداقتهم الطفولة إلى المشيب.

حسنا لماذا اتصلت؟ بعد هذه المدة الطويلة من غيابك، ألم يكن لك من الافضل ان تأتي لزيارتي بدلا عن هذه الفكرة فكرة الاتصال

نعم انت على حق، لكن سمعت من أحد أصدقائنا القدامى، أنك مررت من عدت احداث جعلتك مصاب بجنون متقطع او ما شابه ذلك، هل هذا بسبب كثرت شربك للخمر او ماذا ؟

أرجوك لا تبدأ مجددا ولا تتكلم عن الخمر بسوء انت تعلم أنه هو المسكن الوحيد لألامي.

ياااا عجباه إنك لم تتغير طباعك منذ طفولتنا، كنت هكذا دائما تدافع عن كل الاشياء التي تحبها ولا تسمح لأحد أن ينقص من قيمتها، لكن يبدو لي انك لست مجنونا لدرجة لا تعلم حجم ضرر شرب الخمر بجسدك أنت او غيرك، انت فقط يا صديقي العزيز توهم نفسك انه يسكن آلامك.

لا أنا فقط اشرب شيء قليلا يضع عالما خاصا لي بحيث اظهر للجميع اني مصاب بالجنون حيث انه يجعلني ارى العكس ، ما علينا الان سأعود لكي اخد عراكا مع افكاري المشوشة لكي أستطيع النوم، غدا ان شاء الله صباحا سنلتقي في مقهى يوميات على هامش الحلم ان كنت متفرغا

حسنا وهذا هو سبب اتصالي بك أساسا.

منذ سنوات لم أخاطب روحا، وكان يفترض أن أكون ميتا، لم أشعر بضرورة التواصل مع أي أحد، كان الأمر وكأنني لم أعد في هذا العالم، لكني لست من عالم آخر أيضا، كان الأمر وكأنني رميت تلك السنوات التي طالبت بها بالكثير، لكني بالحقيقة كنت أنتظر أن أسمع أحدا يناديني، حتى ناداني صديقي العزيز يوسف ، فتخيل لي لوهلة ان هذا النداء سينفعني ولو قليلا ويخفف عني وطأة ألمي ويضع عني بعض أثقالي، فذهبت مبكرا للمكان الذي تواعدنا أن نلتقي فيه في مقهى تسمى يوميات على هامش الحلم ،وانا ذاهب للمقهى اشعر بنفسي مثقلا بأحاديث وهموم ضللت عالقة بداخلي لسنوات كنت أريد أن أشاركها مع أحد ما، لكي لا أشعر اني وحيدا في هذا العالم المظلم في نظر العديد من الاشخاص.

فجأة دخل يوسف مبتسما كعادته، فاتحا ذراعيه نحوي وهو يقترب مني شيئا فشيئا ورائحة الخمر تفوح مني من مكان بعيد، والناس تنظر نحوي بشفقة، وأذني تلتقط كلام بعض الجالسين بجانبي، حيث قال أحدهم لصاحبه

صاخرا هل هذا ثمل في هذا الصباح المبكر لا يفعل هذا إلا المدمن او من جن عقله

أخيرا وصل صديقي إلي وفي عناق أخذ بي إلى ذكريات طفولتنا الجميلة، عندما كنا لا نحمل هما ولا غما في حياتنا، بل كانت قلوبنا تغمرها السعادة، الحب، والعفوية، وكثيرا من الفرح.

حسنا لم يسعنا الوقت لنكمل حديثنا في الليلة الماضية، هل لازلت تتوهم أن الخمر يستطيع ان يسكن ألمك؟ انت مخطأ الشيء الوحيد الذي يزيل همومنا واحزاننا هو حوارنا مع الآخر

أخبرته أن الخمر والحب معا يعطينا نفس الشعور أليس كذلك ، لم انهي كلامي قطعني وقال

اه نعم فهمت ربما انت تتكلم عن ميري !

حسنا يتوجب الاعتراف نعم يتوجب ذلك، إنني أتمزق كل يوم و أنا أحمل الحقيقة داخل نفسي

لا أحد يتعافى من صدمته الأولى بشكل كلي، ستظل تلك الندبة مدفونة في أعماق قلبي ولكنها ستحيا في كل

موقف مشابه له كأنها تعاد من جديد لذلك كل شيئ يظل باهت، ربما ما أشعر به ليس مميت لكنه مؤلم حقا

يظهر لي أن الامر معقدا عندك ، فانا لو كنت مكانك الآن لأفرغت قلبي لشخص ما، لأن من حين إلى آخر، يجب إعلان الألم، يجب علينا التنهد بصوت مسموع

ماذا يمكنني أن أقول لك؟ الأمور لا تمضي على ما يرام أبدا، إنني أكثر حزنا وضجرا مما أستطيع أن أصفه لك، ولم أعد أعرف في أي نقطة أنا

حسنا يا صديقي ليكن لسانك قلم وأنا ورقتك البيضاء، فالتكتب في ما شئت وفضفض في ورقتك كل ما يلوج في داخل قلبك أو في ذهنك، وبدأ الحديث من أي نقطة شئت، فليس المهم من أين بدأت، المهم هو أن تفرغ كل ما يحزن قلبك ويقلق ذهنك لصديقك العزيز، ولا تدع أي شيء يشوشك مكتوما بداخلك، لأنك لن تستطيع مواجهة ألمك وحدك، ستكون أنت الخاسر.

حسنا

عذرا يا حبيبتي يا أميرة النساء، إنني أريد أن أعترف لهم بشيء لم أستطيع أن أخبئه بيني وبين نفسي لوقت أطول من هذا، لأنه أهلكني هذا الشعور، لم أستطع أن أواجهه وحدي لذا أريد منهم جميعا أن يعرفوا حقيقة مشاعري تجاهك ، أنني أحبك، أحبك حبا عظيما، منذ أن إلتقيتك و أنا أحلم بك.

عذرا يا حبيبتي أقول لك الآن بصوت أرهقه العياء كطفل شاحب الوجه من شدة البكاء كعصفور فقد أجنحته في ليلة ظلماء ابتلعته الارض بقسوة وأخفته عن السماء سأبدأ قبل أن تثور بداخلي كل الأشياء، سأحكي قصة عشقي وأسطرها بلا انتهاء، وأكتب في أعماقها تفاصيل أول لقاء، يوم إلتقينا خلف هذا الزمن، ويوم إحترقنا حين إبتعدنا ولم نطل البقاء، نمضي في هذه الحياة ولا نعلم ما مصيرنا ربما نكون يوما معا، وربما يوما نصبح فناء.

قد أصبحت كل الفصول بالنسبة إلي فصل الشتاء، وللإنتظار فصول لا تعرفها الكبرياء، فكل الأحداث التي جرت بيننا كليالي ديسمبر الباردة مثلا لا زالت عالقة في ذهني

لا أستطيع نسيانها، من أول لقاء لنا إلى يومنا هذا، كما أنني اتذكر أدق التفاصيل التي كانت سببا في لقائنا، وكأنه القدر كان سببا في اجتماعنا ، لكن هذا قدر هدية من الله لنا، أم أنه يوحي الله لنا به درسا من دروب الحياة، لكن من خلال الطريقة التي إلتقينا بها يبدو لي أن الإلتقاء بك كان هدية من الله لي وما أروعها من هدية، وما كان ينبغي لها أن تكون غير ذلك، ففي السنة التي إلتقينا فيها كانت بالنسبة لي معجزة، ما كانت لتحدث لأي من كان، لأنني ما كنت أتوقع أن ألتقي بفتاة جميلة وفاتنة مثلك ولو عن طريق الصدفة، بل ما كنت أتخيل ذلك أبدا أن يحدث معي طوال حياتي، ف فتاة مثلك فريدة من نوعها لا تشبهين أحدا، تشبهين كل الجمال الذي يلون الأرض ويزينها، تشبهين أشياء لا يمكن أن ترى لعظمتها تشبهين الاحلام والرؤى

قطعت يوسف قائلا له دعنا من ميري حتى تكتب عنها ونلتقي في مقهى لحن القدر واعيش دورا في فلمك هذا

ابتسم قائلا تقطع مشاعري عيب عليك ، سمعت انه أصبح لديك مدرسة خاصة تقوم فيها بدعم كيف فعلتها يا فقير أوجدت كنز ام ماذا

أجبته الم تتدكر ما مررت به ، عندما اجتزت امتحان البكالوريا وكنت أحمل آمالاً كبيرة للمستقبل، قررت أن أخوض تجربة العمل لأول مرة في حياتي التحقت بشركة تجارية بهدف اكتساب الخبرة ودعم مصاريف الدراسة، ولكن سرعان ما اكتشفت أن الو اقع مختلف تماماً عن الأحلام التي كنت أتصورها.

كانت البداية أشبه بدخول عالم جديد تماماً، عالم رأيت فيه عن قرب كيف تُدار الأمور في ظل نظام رأسمالي لا يرحم كنت في فترة اختبار، حيث كان المطلوب مني أن أثبت نفسي، لكن ما رأيته خلال تلك الفترة جعلني أفكر ملياً في طبيعة هذا العالم.

رأيت العبودية في أبشع صورها، ولكن بشكل حديث. عمال يكدحون تسع ساعات يومياً مقابل أجر بالكاد يكفي لتلبية احتياجاتهم الأساسية، بل ولا يتماشى مع قو انين العمل. كانت الابتسامات على وجوههم شاحبة، وتحمل خلفها هموماً لا يمكن تخيلها.

الأكثر تأثيراً كان مشهدي للنساء اللو اتي يعملن في تنظيف محيطنا. بر اتب أقل من الحد الأدنى الذي يكفي

شخصاً واحداً، كنّ يدبرن أمور حياتهن وحياة أطفالهن بعضهن كنّ مطلقات، يتحملن عبء الأسرة وحدهن. كنّ يضحكن أحياناً، لكن تلك الضحكات كانت تخفي قسوة الأيام.

بالنسبة لي كان الراتب الذي أتقاضاه لا يكفي حتى لشراء الكتب الدراسية التي أحتاجها، ومع ذلك كنت أرى في عيونهن نوعاً من الإصرار الذي لا يمكن تفسيره كنت أتساءل: كيف يستطعن التعايش مع هذه الظروف القاسية؟

استمررت في العمل لمدة ستة أشهر كنت أرى، أتعلم، و أتفكر. أدركت أن الحياة ليست عادلة بالنسبة للجميع، وأن هناك من يكدح كل يوم فقط ليبقى على قيد الحياة. تلك التجربة لم تكن مجرد عمل كانت درساً في فهم الو اقع، ورؤية الحقيقة كما هي، بعيداً عن الأحلام الوردية

اخدت قليلا من نبيد و اتممت له الحكاي ، بعد انتهاء التجربة الأولى في خنيفرة، شعرت وكأنني أترك وراء ظهري كل شيء، حاملاً معي أملًا هشًا وطموحًا أثقل كاهلي. انتقلت إلى مكناس، إلى فرع جديد للشركة ذاتها، وهناك بدأت رحلة

أخرى، مليئة بالتحديات والمحن بحثت عن مكان أعيش فيه، لم أكن أملك رفاهية الاختيار. استقريت في حي الزيتون، حيث كان الإيجار أرخص. لم يكن الحي قريبًا من أي مكان أحتاجه، لكنه كان ملاذًا يناسب ميزانيتي المتواضعة كانت شقتي صغيرة، جدرانها باردة، لكنها كانت شاهدة على أحلامي التي لم أكن أعلم إن كانت ستتحقق.

في الصباح الباكر، كنت أستيقظ عند الخامسة، والنسمات الباردة تزحف إلى عظامي. في ذلك البرد القارس، كنت أعد فطوري بسرعة، أرتدي ملابسي الثقيلة، ثم أمتطي دراجتي الهوائية. كان الطريق طويلًا إلى حمرية، حيث عملي، لكنني كنت أتحمل. كان الوصول في الوقت المحدد ضرورة لا مفر منها، فأصل مع السابعة تمامًا، متعبًا، ولكن مصممًا.

عملت حتى الرابعة عصرًا ، دون توقف، كأنني آلة تتحرك بدافع الأمل وبعد انتهاء العمل، كنت أتوجه مباشرة إلى الكلية، في حي التلال. لم أكن أصل في الوقت المناسب أبدًا، فأفقد جزءًا من المحاضرات كنت أجلس في القاعة، أنظر إلى السبورة، لكن عقلي كان مشوشًا، وجسدي مرهقًا.

أحيانًا، كنت أشعر أنني أعيش في دوامة لا تنتهي. العمل، الدراسة، والمسافات الطويلة، كل شيء كان ينهش من طاقتي. كنت أتساءل: إلى متى؟

كل يوم كنت أقول لنفسي إن الصبر هو المفتاح، وإن هذا الألم هو ثمن الحلم. لكن حتى الصبر له حدود كنت أشعر أنني أقترب من نقطة الانهيار، وأنني بحاجة إلى معجزة تنقذني من هذا العبء.

ورغم كل شيء، كان داخلي صوت صغير، ضعيف لكنه عنيد، يهمس لي: استمر لا تتوقف الآن.

وصلت إلى النقطة التي لم يعد فيها الصبر كافيًا، حيث صار العذاب يتجاوز حدود التجربة التي تحملتها بصمت. كنت أستيقظ كل يوم و أنا أحمل أعباء الحياة على كتفي، لكن داخلي كان يصرخ طالبًا الحرية في لحظة صادقة مع نفسي، قررت أن أنهي كل شيء، أن أطلب المغادرة دون إخطار أو تردد لم يكن القرار سهلاً، لكنه كان ضروريًا

ورغم أنني غادرت تلك الشركة التي شعرت فيها وكأنني في عبودية حديثة، لم أتركها دون أن أضع بصمتي كنت أعلم

أن خروجي لن يكون مجرد هروب، بل بداية جديدة طوال الفترة التي قضيتها هناك، كنت أعمل جاهداً على أن أقترب من كل شخص له صلة أو سلطة، أقدم لهم بطاقة تعريفية عني، أشاركهم معلوماتي، وأبذل قصارى جهدي أمامهم كنت أعلم أن كل لقاء هو فرصة، وكل بطاقة يمكن أن تكون بوابة لحياة أفضل.

وبفضل هذا الجهد، فتحت لي الأبواب انتقلت من تلك الشركة التي أنهكتني إلى شركة أخرى، حيث وجدت احترامًا لشخصي لم أعد أعمل ثماني ساعات يوميًا كالسابق، بل أصبحت أعمل أربع ساعات فقط، وبنفس الراتب كان الأمر أشبه بانتقال من عالم مظلم إلى بصيص من النور

هناك، في تلك الشركة الجديدة، عملت بجهد مضاعف، وانضممت إلى علامة تجارية واحدة فقط، لكنني شعرت بأنني أستطيع التنفس أخيرًا كان هذا التحول يحدث بالتزامن مع انتهاء دراستي، مما منحني الفرصة للعودة إلى خنيفرة ،عندما عدت، كنت أقف على أعتاب مرحلة جديدة الأعمال التي التحقت بها في خنيفرة بدأت مع تلك الشركة التي منحتني فرصة ثانية، تلك الفرصة التي

كنت أبحث عنها طويلاً شعرت أنني لم أخسر كل شيء، بل خرجت من التجربة الأولى بحكمة وقوة أكبر، ومعرفة أن العمل الجاد لا يضيع أبدًا، بل يفتح أبو ابًا لا تتوقعها

لم تنتهي هنا ممرت الجزء الر ابع : تجربة شخصية مع الطرد التعسفي

في تلك الفترة، كنت أدرس قانون الشغل المغربي، وكنت متحمسًا لمعرفة حقوق الأجيرووواجبات المشغل لكن لم أكن أتصورأنني سأكون أنا نفسي موضوعًا حقيقيًا لتطبيق هذا القانون

فجأة، وجدت نفسي مطرودًا من العمل، دون سابق إنذار، فقط لأنني طالبت بحقي في الأجر الذي لم يصلني وفقًا للمادة 62 من قانون الشغل المغربي، لا يجوز طرد الأجير إلا لأسباب جدية ومبررة، وبعد احترام المسطرة التأديبية، التي تشمل الاستماع إلى الأجير وتمكينه من الدفاع عن نفسه لكن في حالتي، لم يكن هناك أي احترام لهذا الإجراء، مما يجعل الطرد تعسفيًا بكل المقاييس

كنت أعمل ليلًا ونهارًا، أفرغ الشاحنات، أتعامل مع الزبائن، و أقدم كل ما لديّ من جهد في يوم واحد، دخلت الشركة 100000 درهم من مبيعاتي تمن اكبر من الخيال، بينما لم يتجاوز راتبي الشهري 2000 درهم ، بينما كنت أعمل أكثر من 240 ساعة في الشهر ومع ذلك، لم أُعامل بعدل، بل كان هناك استغلال واضح

مع اقتراب عيد الأضحى، ازداد الضغط، وأصبحت ساعات العمل لا تُطاق وفقًا للمادة 184 من قانون الشغل، فإن الحد الأقصى لساعات العمل هو 44 ساعة في الأسبوع، ومع ذلك كنت أعمل لساعات تفوق هذا الحد بكثير دون تعويضات وعندما طالبت بحقي، تم تجاهلي، بل وتعرضت للظلم

لم أصمت قررت أن أواجه الأمر بالقانون، وأطبّق ما درسته توجهت إلى مفتش الشغل، لكنني سرعان ما اكتشفت أن هناك تخوفًا من مواجهة الشركة، وأن المشغلين يعرفون كيف يلتفون على القانون كان واضحًا أن من هم فوقي في السلم الإداري يستفيدون من الوضع، فهم

يتلقون الرواتب والمكافآت، بينما يُترك العمال لمواجهة الجحيم اليومي

المادة 205 من قانون الشغل تنص على أن المشغل ملزم بأداء كل المستحقات المالية للأجير عند إنهاء العقد، لكنني لم أتلقَ شيئًا، بل استولى المسؤولون على مستحقاتي عندها، أدركت أن القطاع الخاص في المغرب متوحش و أنه ليس مجرد وسيلة للعمل، بل أحيانًا يصبح وسيلة للقهر والاستغلال، إلا لمن يعرف كيف يدافع عن نفسه

كانت هذه التجربة درسًا قاسيًا تعلمت أن بعض المؤسسات لا تلتزم بالقانون إلا إذا وُجد من يُجبرها على ذلك وأدركت أن الحق لا يُمنح، بل يجب انتزاعه، وأن السكوت عن الظلم يعني السماح له بالاستمرار و بين الظلم والاستغاثة كيف انتزعت حقي بطريقة غير متوقعة

بعد كل ما مررت به من تعب وظلم، وبعد أن وجدت الأبواب مغلقة في وجهي، لم أستسلم قررت أن أستخدم أي وسيلة لإيصال صوتي كانت لدي فكرة لم أتردد في تجربتها: اتصلت بفرع الشركة الأم في فرنسا، وشرحت لهم ما حدث لي رغم أنني لم أكن أتقن اللغة الفرنسية جيدًا كنت أتكلم

بتردد، أبحث عن الكلمات المناسبة، لكنني كنت مصممًا على إيصال شكواي

تحدثت بصوت يعكس معاناتي، وشرحت الظلم الذي تعرضت له، لكن كان واضحًا أن لغتي الفرنسية ضعيفة أثناء المكالمة، أخطأت في التعبير عدة مرات، لكنني انهيت كلامي بجملة واضحة:

(Je ne parle pas français bien)

بسيطة لكنها حملت صدقًا وإصرارًا على إيصال الحقيقة لم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى تلقيت اتصالاً جديدًا، هذه المرة من الدار البيضاء الإدارة ، حيث مقر الإدارة الرئيسية للشركة في المغرب جاءني صوت هادئ يسألني عن التفاصيل:

ما المشكلة ؟ ومن قام بذلك؟

فجأة ، شعرت أن الأمور بدأت تتحرك لأول مرة منذ فترة طويلة، بدأ المسؤولون يهتمون بأمري أشخاص لم أكن أراهم في الشركة أصبحوا فجأة يسألون ويحققون، وكأن القضية أصبحت تحت الأضواء

ما حدث بعد ذلك كان كاشفًا بالنسبة لي. أدركت أن القوة لم تكن في القانون المحلي فقط، بل في الجرأة على الوصول إلى مستويات أعلى في هرم الشركة كنت أعلم أن القانون وحده لا يكفي أحيانًا لحمايتي، لكني تعلمت أن الإصراروالصوت الذي لا يصمت يمكن أن يهزم أي ظلم كان هذا درسًا جديدًا في رحلتي أحيانًا يكون الظلم نظاميًا ومؤسسًا، لكنه يبدأ بالتراجع عندما تجد الطريقة المناسبة لمواجهته

قال يوسف هده التجربة قد تجعلك ايما غنيا يا أن تكون مجنونا

أجبته تدكرت عندما كنت انا وزكرياء صديقي تذكرت تلك الأيام التي لن أنساها ما حييت، الأيام التي صنعت بداياتي الأولى في العمل، حيث كنت أتنقل بين البناء، والفلاحة، والأسواق، أبحث عن فرصة، ولو بسيطة، لأشعر بقيمتي و أنا أكسب قوت يومي بعرق جبيني

كان ذلك في السنة الثانية إعدادي، أنا وصديقي زكرياء، نحلم بأشياء تبدو بسيطة لكنها كانت تعني لنا الكثيرأن نشتري فطيرة صباحًا، أو نحصل على ساندويتش

مساءً. كان أعظم طموح لدينا أن يكون في جيبنا 10 دراهم فقط كل يوم.

أتذكر كيف قررنا ذات مرة أن نذهب إلى السوق الأسبوعي يوم السبت للعمل في إنزال الخضار من الشاحنات خططنا لذلك منذ ليلة الجمعة، واستيقظنا في الثالثة أو الرابعة صباحًا، ولا يزال الظلام يلف المكان أقنعنا أهلنا بصعوبة ليسمحوا لنا بالذهاب، كانوا يخافون علينا، لكننا كنا نعتقد أنهم يضايقوننا بلا سبب، لم نكن ندرك حينها أن خوفهم علينا كان حبًا خالصًا وصلنا إلى أول شاحنة، فتقدمنا بحماس، لكنهم رفضونا، ثم حاولنا مع أخرى، فواجهنا الرفض مرة ثانية استمرينا في البحث، حتى لمحنا رجلاً يضحك وهو ينظر إلينا كانت ملابسنا قديمة لكنها نظيفة، وربما بدت له وكأنها فاخرة! قال لنا بابتسامة ساخرة: انتظرا هنا انتظرنا بحسن نية، عشر دقائق، عشرين دقيقة، لكن لا شيء تغير عدنا إليه، فقال ببرود: أنتم مجرد أطفال، هذا العمل ليس لكم كلماته كانت كطعنة في القلب، لكننا لم نستسلم ابتعدنا قليلًا، ثم نظرنا إلى بعضنا و اتفقنا بصمت يجب أن نبدو أكثر قسوة لطخنا

ملابسنا بالطين حتى تبدو متسخة، وعدنا للبحث ،كل شاحنة كانت مشغولة برجال اعتادوا هذا العمل، بعضهم عاطلون عن العمل، وبعضهم يعيلون أبناءً في عمرنا لم يكن الأمر سهلًا، لكنني تعلمت في ذلك الصباح درسًا لن أنساه: لا تستسلم أبدًا ، بعدها بدأت أذهب إلى سوق الأحد، كان سوقًا كبيرًا، تعلمت فيه الكثير كنت أستيقظ مبكرًا وأعمل مع شاحنة الحاج، أحصل على أجري اليومي، ثم أذهب إلى تجار الجملة وأشتري بضاعة لأبيعها بسعر أقل قليلًا للأصدقاء وأربح فرقًا بسيطًا شيئًا فشيئًا بدأت أتعلم أصول التجارة، و أفهم كيف يمكن للمال أن ينمو بالصبر والتخطيط ،وحينما انتقلت إلى مكناس كانت الحياة أصعب، والأسعار مرتفعة بشكل جنوني بسبب الأزمة العالمية آنذاك كنت أمر على البيوت التي يتم هدمها وأسأل أصحابها: هل تحتاجون إلى عامل؟ شيئًا فشيئًا تعرفت على البنائين، وصرت أحمل الأثقال على ظهري ،

هل كل هدا عناء أليس فيه شيء مضحكا يا عماد

نعم تدكرت يا يوسف شيء سيجعلك تضحك في كل مرة كنت أبدأ عملاً جديدًا، كنت أجد نفسي في دوامة من

الأوراق والوثائق التي تحتاج إلى وقت طويل وأموال كثيرة لا تتناسب مع الأجر الذي سأحصل عليه لاحقًا كنت أقبل بذلك على مضض، كأنه طقس عبورلا بد منه لكن في إحدى التجارب، حدث معي موقف سيظل محفورًا في ذاكرتي، موقف جعلني أضحك على نفسي كلما تذكرته

عندما انتقلت من خنيفرة إلى مكناس، طُلب مني إجراء بعض التحاليل الطبية لم أفكر كثيرًا، استيقظت باكرًا وتوجهت إلى العيادة بثقة، مستعدًا لإنهاء الأمرسريعًا لكنني لم أكن مستعدًا لما ينتظرني هناك

عند دخولي، وجدت فتاة شقراء، جميلة كأنها لوحة مرسومة بعناية، تبتسم لي بهدوء في تلك اللحظة، شعرت وكأنني بطل في مشهد سينمائي، عيناي تلمعان، و ابتسامتي تتسع، وكأن القدر ساقني إلى هنا لهذا اللقاء فقط نزعت قميصي بكل ثقة، وقلت لها بابتسامة ماكرة:

أنا لا أخشى أن تسحبي دمي، لكن احذري أن ترحلي بقلبي!

ابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم نظرت إليّ بعينين تحملان سخرية لطيفة قبل أن تقول بصوت هادئ لكنه مدمر:

لكن هذا النوع من التحليل لا يحتاج إلى الدم

شعرت ببرودة غريبة تسري في جسدي، كأن نسمات الصباح التي كنت أستمتع بها قبل قليل تحولت إلى عاصفة من الإحراج سألتها و أنا أتمسك بما تبقى من ثقتي:

إذًا كيف؟

ضحكت قليلاً، ثم قالت بكل بساطة:

العينة تؤخذ من الفضلات، وليس من الدم في تلك اللحظة، شعرت أن الأرض انشقت و ابتلعتني! تحولت من فارس شجاع إلى طفل صغير محرج لا يعرف كيف يهرب من هذا الموقف احمر وجهي، وقلت لها متعجبًا وكأنني لا أصدق أن هذا الجمال ينطق بمثل هذه الكلمات

أهذا الجمال يخبرني بمثل هذا الشيء؟ ضحكت، ثم قالت بمكر:

إن كنت تشعر بالإحراج، يمكنك أخذ العينة إلى المنزل وإحضارها لاحقًا

شعرت أنني هُزمت شر هزيمة، ولم أجد سوى جملة واحدة لأحفظ بها ما تبقى من كرامتي:

خذي قلبي و اتركي لي كرامتي!

خرجت من العيادة بسرعة و أنا أردد في داخلي أنني لن أقوم بهذا التحليل مهما حدث اتصلت بأفضل مدير عملت معه، كان اسمه صلاح، رجل يعاملني كابنه، دائمًا ينصحني بألا أفعل شيئًا لا أشعر بالراحة تجاهه، وكان يردد عليّ دائمًا:

اهتم بدراستك، لا تتركها، كي تصل إلى ما لم أستطع الوصول إليه قلت له بجدية، وكأنني أواجه أصعب قرار في حياتي:عمي صلاح، لن أفعل هذه التحاليل!

ضحك وسألني عن السبب، فشرحت له الموقف بكامل

لم يتوقف يوسف عن الضحك له اغرب ضحكت

قال لي ومشروعك الان اين وصل وكيف بدأته

بعد أن جمعت كل المعلومات عن ريادة الأعمال والشركات، قررت أن أؤسس مشروعي الخاص—مؤسسة تعليمية—ليس فقط لنشر أفكاري، ولكن أيضًا لمساعدة

من لا يملكون المال، وتأمين مصدر دخل يساعدني على إتمام دراستي.

بدأت رحلة البحث عن مكان مناسب مع شريكي عديل، وبعد عناء طويل، وجدنا منزلًا بدا مثاليًا كان يسكن في الطابق الثالث رجل يُدعى(الحو)، استقبلنا في البداية بكلام لطيف وأكد لنا أن المكان مناسب من جميع النواحي، سواء من حيث الجيران أو الأجواء العامة

بدأنا تجهيز المؤسسة، فاشترينا الأثاث من محلات مختلفة، بما في ذلك الطاولات والكراسي، وقمنا بطلاء الجدران برسومات جميلة لم أكن وحدي في هذا، فقد ساعدني أصدقائي، ومن بينهم عبد العلي وبلال (الذي يعيش الآن في الولايات المتحدة)، كما دعمني والداي بشكل كبير شيئًا فشيئًا، تحوّل المكان إلى مدرسة جميلة.

قمت بتوظيف الأساتذة، وحددت الأسعار، وبدأ التسجيل في البداية، كان الإقبال متواضعًا، لكن سرعان ما بدأ الناس يلاحظون جودة التعليم، وازداد عدد المسجلين بشكل ملحوظ، بفضل الله

لكن لم تسر الأمور كما توقعت، فقد بدأت المشاكل تتراكم.

أول مشكلة كانت مع الحو، الذي فجأة بدأ بالصراخ في وجهنا بسبب ضجيج الأطفال وطرق الباب المستمر لم نفهم الأمر في البداية، لكن لاحقًا اكتشفنا أن الطابق الثاني غير مأجور لأن السكان يرفضون الضوضاء، وأن السمسار أو الحو ، كان يعتمد على تأجير كل طابق على حدة ليحصل على عمولة، وكان يخشى أن يؤثر وجودنا على دخله حاولنا تهدئة الأمور وأخبرناه أننا سنغادر مع نهاية السنة، لكنه لم يكتفِ بذلك، بل أصبح أكثر عدوانية، وصار يصرخ على الأطفال ويهدد الأساتذة! لم يعد الصمت حلًا، فاضطررت وعاديل الدي شاذ الصراع بينهما إلى تقديم شكوى ضده لأضع حدًا للمشكل

وفي خضم هذه المشاكل، ظهرت عقبة أخرى أكثر خطورة: المسألة القانونية. فجأة، تلقيت تحذيرًا بإمكانية إيقافي بسبب عدم توفر المؤسسة على التراخيص اللازمة لم أكن أعتقد أن الأمور قد تصل إلى هذا الحد، لكنني كنت

مضطرًا للتحرك بسرعة لإيجاد حل قانوني يمنع إغلاق المشروع.

وكأن ذلك لم يكن كافيًا، واجهت مشكلة داخلية أخرى: فتاة لا تمتلك أي خبرة في التسيير، لكنها كانت تتصرف وكأنها تدير المكان، ما أدى إلى الكثير من الفوضى وسوء الإدارة كانت قراراتها العشوائية تزيد من الضغوط، وكدت أفقد السيطرة على المشروع تمامًا.

كل هذه المشاكل تراكمت في وقت حساس جدًا، حيث لم يتبقَّ على امتحاناتي سوى أربعة أيام، وأنا الآن أعيش وسط هذه الفوضى محاولًا الحفاظ على المشروع من الانهيار لا أعلم كيف ستنتهي هذه القصة لكنني أرجو أن يكون الختام خير

بداء يضحك يوسف رائحت الخمر اثرت عليه ابرته ماذا يضحك أجبني هل تتذكر قصة ضيف في الحي

بدأت انا بضحك أيضا وقلت له : تذكّرت ياسين الملقب ب (كسكوس) عندما أخبرني عن حادثة طريفة حدثت في الحيّ الجامعي بمكناس في أحد البيوت، كان يقطن خمسة

طلاب، وأحدهم كان يأتي كضيف دائم، يأكل ويشرب وينام وكأنه أحد السكان لكن ذات يوم، ظهر شيطان ياسين و أفكاره الخبيثة خطرت له فكرة ماكرة، فذهب إلى العشّاب واشترى كمية من حبوب تُعرف بقدرتها على تسهيل الهضم بسرعة، ثم دسّها في البيض المُعدّ للضيف، الذي كان معروفًا بشراهته وسرعته في الأكل لم يكن الضيف يعلم بما ينتظره، فالتهم الطعام بشهية، بينما الجميع يترقّبون النتيجة بصمتٍ خبيث لم تمضِ سوى لحظات حتى بدأ الضيف يشعر بعدم الارتياح، فذهب إلى المرحاض مرة، ثم عاد، ثم عاد إليه ثانية، وثالثة الجميع وضعوا رؤوسهم على الوسائد وتظاهروا بالنوم، لكن في الحقيقة، كانوا ير اقبونه خلسة وهو يذهب ويعود في ارتباك لكن اللحظة التي فجّرت الضحك وأطاحت بتمثيلهم كانت عندما وقف الضيف عند باب المرحاض للمرة الر ابعة وعند محاولته الدخول أطلق غازًا بصوت مرتفع لم يتمالك الجميع أنفسهم، و انفجروا ضاحكين بصوت عالٍ، مما جعل الضيف يدرك أنه وقع في فخّ مدبّر. التفت غاضبًا إلى ياسين المشتبه الأول دائمًا في هذه الأفعال، وسأله: ماذا فعلت لي؟

لكن ياسين كان يضحك بجنون، مما دفع الضيف إلى الخروج فورًا من البيت والركض ليأخذ سيارة أجرة إلى الطبيب كانت واحدة من أكثر الحوادث إضحاكًا في ذلك البيت الجامعي ، ذكرى من الذكريات التي لا تُنسى

بعدها علمت أن صديق الضيف هو انت يايوسف هيه

وهل تتذكر ما حدث لك في اول السنة في تلك المدينة

كيف لي ان انسى يايوسف اكفس يومين من حياتي

اخبيرني بتفصيل لم اسمع القصة منك

لن انسى ، هناك من كان وهناك من يضن أنه

مررت بو اقعة تجمع بين جزء من الخيال وكثير من الحقيقة، وأعتقد أن مثل هذه الأحداث تحدث للأنبياء والأولياء سأحكي لك عن أسوأ يومين في حياتي.

كان قد تبقى وقت قليل على امتحانات الفصل الأول، ووجدت نفسي أبدل جهدي في مدينتي لم أفكر حينها في البقاء، لذا أخذت كل أغراضي من الملابس والطعام المال كان متوفراً بفضل المنحة البسيطة.

أمام المحطة، كانت الساعة حينها الحادية عشرة ليلاً كان أحدهم ينادي بصوت مرتفع: إلى أين، يا بني؟ فأخبرته: مكناس، قرب الكلية.

قال لي إن الحافلة ستغادر الآن وأنها آخر حافلة لمدينة مكناس لم أتردد حينها.

في طريقنا، كان صوت الموسيقى الأمازيغية يدوي في أذني، وفجأة رأيت الحافلة تنحرف إلى الطريق السيار أوقفت السائق بصوت مرتفع وغاضب: يا سيدي، قف! كيف ومتى أصبح هناك طريق سيار بين خنيفرة ومكناس؟ رد علي: يا بني، لم أدخل مدينة مكناس أنا في طريقي إلى مدينة أخرى، ما زالت ربع ساعة من هنا إلى مكناس.

أجبته: كيف لك أن تكذب علي؟ أليس عيبًا، أنت رجل كبير السن؟ قال: يا بني، سأكمل بك إلى المدينة الأخرى وأعيدك بدون أي مقابل لم أكن أعلم أي شيء عن الطريق، ولم أكن أدرك أن الناس لا يمرون ببطء على تلك الطريق كما لم أكن أعلم أن سيارات الأجرة لا تصل خارج المدينة. طلبت منه أن يعيد لي أغراضي وأن يفتح لي الباب، ولم يتردد في ذلك، ولم ينصحني بشيء.

كنت محملاً بالأغراض من حقائب وأشياء أعطاني إياها أصدقائي لأوصلها إليهم لم أعرف الاتجاه، هل شمالاً أم يميناً كان الخوف يحيط بي، لكن الغضب كان يشعل النار بداخلي كانت الطريق مثل حياتي، بلا نهاية واضحة، وحتى الأضواء فيها كانت مظلمة.

أخيراً، رأيت شاحنة تسير بسرعة منخفضة فكرت في أن أقف أمامها، إما أن تصدمني ويأتي الإسعاف على الأقل لأعرف أين أنا، أو أن تتوقف وتساعدني في توجيهي سألني السائق مندهشًا: هل أنت مجنون؟ ماذا بك؟ ويده تبحث عن عصا بجانبه أخبرته أنني طالب وأن كل شيء حدث معي.

رد عليّ بأنه عكس مصيري، وأخبرني عن الطريق قائلاً: ساعة تقريباً من المشي ستصل إلى موقعك كانت الواحدة ليلاً، والبرد القارس والظلام الدامس يحيطان بي لم يعد الخوف يدور حولي، بل أصبح الغضب يصرخ داخلي كنت أتمنى أن يأتي أحد ليقطع طريقي

مرت ساعة وبعض الدقائق، حتى وجدت نفسي أمام كلية العلوم في مكناس،في حي الزيتون، بينما كنت أقيم على بعد نصف ساعة من ذلك المكان في حي دوار جبلة تحمل

هذه الأحياء عددًا هائلًا من العقول الصبورة، التي تواجه الفقر بشجاعة، حيث إن أغلب السكان هم من الطلاب من مختلف مدن المغرب، وخاصة من جبال الأطلس والجنوب.

بعد أن أخذت قسطًا من الراحة، حاولت الاتصال بكل شخص أعرفه هنا، لكن لم يجبني سوى شخص واحد، عبد العالي، الذي أخبرني أنه في اتصال مع أحدهم في موضوع مهم، وقطع الخط قبل أن أتحدث. أكملت طريقي إلى منزلي، وعند وصولي حوالي الساعة الرابعة تقريبًا، وجدت أصابعي ملطخة بالدم، ونعالي قد تمزق. خلعت كل تلك الحقائب من خلفي وغطت في نوم عميق.

استيقظت في الحادية عشرة صباحًا، استحممت بماء بارد، وتناولت فطورًا بسيطًا مع موسيقى أم كلثوم أنهيت كل شيء، وحان وقت أخذ الأمانة الى أصحابها، أغلبهم في حي الزيتون قررت أن آخذ كتبي و أقلامي وأن أدرس في أحد المقاهي كي لا أضيع الوقت

مررت على حانة تبيع الخمر، فأخذت زجاجة لأخفف من آلام الماضي و أبدأ في مواجهة مشاكل المستقبل أكملت طريقي إلى المقهى أمام الكلية دخلت إلى المرحاض وشربت

قليلاً من ذلك النبيذ، ثم اتصلت بكل الأصدقاء ليأتوا إلى تلك المقهى أخذت كتبي وبدأت أدرس

ها قد بدأ الليل ينزل، وظهر كل الأصدقاء كأنهم يخفون عني شيئًا لم أتمم زجاجة الخمر وعدت إليهم، وبدأت أسألهم عن سبب عدم ردهم عليّ الليلة الماضية بدأ البعض بمراوغتي في الكلام، ولم أحقرهم بدأنا نلعب ونضحك حتى منتصف الليل، وهنا أغلقت المقهى، وكان الجميع في طريقهم للانفصال في المنتصف

كنا ستة أشخاص: فتاتان وأربعة شباب. كان شخصان يتناولان القنب الهندي، و أنا مخمور، والرابع خالٍ من كل الابتلاء لكنه يحب الفتيات، ووجهه مليء بحبوب الشباب من خلفي سمعت : انتبه، إسماعيل عماد أظن أن الفتاة كانت تمزح، بدأت تبكي ولم أفهم شيئًا، والآخرون حولها.

أخبرني الجميع أن هذا هو ما لم نرد إخبارك به بعد أن استوعبت الأمر، وجدت أنها تخضع لجني هاتفي يحمل الرقية الشرعية، وعند سماعها للقرآن فقدت الوعي بدأ الخمر يرحل عني حتى أنني لم أسترح ليلة البارحة استمر الصراخ وسماع القرآن حوالي ساعة.

الكل من حولي مسؤولين لم أكن أؤمن بتلك الأمور، وأعلم أنها مجرد ضغوطات نفسية تريد الخروج بطريقة ما بعد مدة، أصبح الجو يرقصنا بأنغام البرد، ونطقت الفتاة الثانية بشيء جميل: ارحلوا، سأدخل معها الليلة، ارتاحوا إلى الغد

لم يتردد أحد، ذهبت إلى بيت عبد العالي وبلال لكي أنام تلك الليلة، وأخذت معي بعض الخبز

عند دخولي للبيت، اتصلت الفتاة صديقتنا، وأجابها عبد العالي أخبرتنا أن نأتي، وأن صديقتنا قد زاد عليها الحال حذائي لا يزال ملتصقًا برجلي وضعت الخبز فوق الطاولة، وذهبنا مسرعين نحو إقامة تلك الصديقة هنا انتهى كل الخمر، وأصبح جسمي يحتاجه بقوة عند وصولنا أمام الباب، بدأنا نقاشًا حول كيفية دخولنا إلى تلك الإقامة، لأنها مخصصة للفتيات فقط. أخبرنا بلال أنه لن يدخل خوفًا من الشرطة أو من فخ بدأ يتهرب منه لكن عبد العالي لم يتردد ودخل مسرعًا ليحضّرها عاد حاملاً إياها وصديقتنا الأخرى معه بذلنا جهدًا في تهدئتها، وبدأنا نقرأ القرآن ونحادثها قليلًا.

لم نجد حلاً، وكنت أردد: اخرجي، اخرجي من داخلها! كدت أصاب بالجنون من شدة التعب فجأة، مرت سيارة شرطة من حولنا،

إليك النص بعد إضافة الجزء الأخير وصياغته بشكل أكثر وضوحًا و انسيابية:

وصلت الشرطة، وبدأ الجميع يلتفت حوله بقلق كنتُ محاطًا برائحة الخمر، وصديقي الآخر يحمل القنب في جيبه، بينما الثالث قد فقد وعيه تمامًا، وكأن الأمر بيد الله لكن وسط هذا العذاب، بدا لي أن السجن قد يكون خيارًا أهون.

لم أجد أمامي سوى التلويح لسيارة الشرطة، فظنوا في البداية أننا مجرد طلاب مخمورين لكن عندما تحدثت مع الضابط من مسافة آمنة حتى لا يلاحظ رائحة الكحول، حاولت أن أبدو طبيعيًا وشرحت له الموقف بهدوء استمع إليّ باهتمام، ثم طمأننا بأنه سيكون إلى جانبنا، وسرعان ما اتصل بسيارة الإسعاف.

وصلت سيارة الإسعاف وأخذت الفتاة، بينما بقيتُ أنا وصديقي بلال، في حين ذهب صديقنا الآخر مع حبيبته، وكأنهما انجرفا مع الأشباح والمصائب لكن ذلك الأحمق أخذ معه مفاتيح المنزل، وتركنا نرتجف في البرد القارس، ننتظر وسط الشوارع الخالية مرت ساعتان تقريبًا قبل أن يعود أخيرًا، وكأن الزمن تجمد في تلك اللحظات ، عادوا أخيرًا، لكن الطبيب لم يقدم أي حل. اكتفى بإلقاء نظرة ثم غادر عندها، أخبرنا الشرطي أن ندخل إلى المنزل معًا، وكأن ذلك هو الحل الوحيد المتاح لكن الوضع ازداد سوءًا ذلك الأحمقكان مشغولًا بصديقته، والآخركان منهكًا تمامًا، بينما وجدتُ نفسي مضطرًا للبقاء حارسًا لكل شيء عدنا من جديد إلى قراءة القرآن ومحاولة الحديث مع الجني، حتى غفوتُ لدقائق معدودة وعندما فتحت عيني، وجدت أن الفتاة قد تحررت منه لكنه انتقل إلى بلال! وبينهما بدأت علاقة غريبة، علاقة انتهت اليوم بزواج.

وعندما حل الصباح وأردنا مغادرة الإقامة، ظهر الحارس أمامنا. لم تعد لدينا طاقة للشرح أو التبرير، كنا

أشبه بمشهد ديكور يتحرك ببطء، نخرج واحدًا تلو الآخر بصمت، وكأننا نحاول تقليل الضوضاء حتى في وجودنا

ولله يا اخي عماد أنك تحتاج فلما لحياتك هده

اجبته مجرد احداث فقط تجعلني اكبر وفي باب المقهى يضهر الرفيق الاستاد عبد الحليم يدخل نحوي ، القى تحية على يوسف وقام بعناقي أخبرني يا عماد رائحة الخمر من جديد إلى متى يا اخي

أجبته إلى أن اقتنع بالوجود ، عرفت يوسف على الاستاد وبدأ حوار اخر بين وبينه بعد أن

أخبرني : لا رغبة لنا بعد اليوم نحيا دون هدف، نسير دون وجهة، تائهون بين و اقع مرير وأحلام تزيدنا عذابًا.

أجبته وأصبح الحوار بين وبينه كشعر: وقعت وسط كل هذا الظلام؟ لا زلت لا أدري ما كنت وما سأصبح، فقط سئمت كل هذا العبث الذي يحصل، شيء ما انطفأ بداخلي، ليست للحياة معنى، والأيام تجر بعضها دون غاية، صراع الروح بلا مغزى، وربما لم أفهمه أنا، جُلّ ما أعرفه هو أن لا طاقة لي للمسير. أنا أيضًا أحب روحي أن تبقى في سلام

دائم، لكن الحلم والخيال يعذباني، كأن شيئًا ما رحل، كأن المشاعر قد تجمدت. أظن أن دوري قد انتهى، لكن شيئًا ما أيضًا يخبرني أنه مجرد فراغ، وأن الحياة لا زالت تخبئ الكثير من المفاجآت.

اجابني وبتسم : العيب ليس فينا، صديقي، العيب في زمننا الذي جعل منا كومة لحم تحمل ما لا تطيق من الهموم. ليس العيب فينا أن تزامن ربيع أعمارنا مع خريف الحياة، ليس العيب فينا أن أيامنا أصبحت مجرد دقائق معدودة، زمننا يسارع نفسه إلى اللاعودة ليس العيب فينا أن أجسادنا في العشرينات بينما عقولنا في الثمانينات تحتاج عكاكيز تتكئ عليها

ختمت الحوار : اه يا صديقي، يسود اللون الأبيض والأسود عقولنا، حقًا العيب في زمننا، زمن يضع أحمر شفاه فوق الفضلات نحن مجموعة أشخاص تعلمنا أن نكون الحب والعفوية، لكن هذا ليس ما نعيشه الآن نحن أشخاص نستحق العيش، ليس أن نُحيا خارجه نحن أشخاص عظماء لم تُمسكنا تجارب الخراب بين الثواني، في رمشة عين، تختفي الأرواح، تغيب الابتسامة، تظهر

الدموع، ويبدأ الحنين حتى أغرق في بحر الاشتياق لنفسي ولذاك الذي ظننت أنه يشبهني أتعجب من أنني أضع رحيلي في قلوب لم تطيقني، وعلى أرض لم أكن موجودًا فيها أصلاً. وعد الله حق، لن يبقى سوى وجهه وعملنا من صلاة وزكاة وأعمال تنير قبورنا ليوم المعاد تبا للحب، تبا للوجود أصلًا

تدخل يوسف اخبرنا يا اصدقائي يجب عليكم أن تحبو شيء ، أجبته في دهني أن الحب عندما يرحل ستصبح مثلنا ، أخبرني هل لديك هبيبا يا عماد قد رايتك تضع مؤخرا خواطر جميلة ما الجديد يا اخي هل سنفرح بك في هده السنة

اه أخبرته ايمان اليس كذالك

نعم يا اخي

كانت البداية في ذلك اليوم الذي التقيت بها لأول مرة، لم أكن أعلم أن حياتي ستنقلب رأسًا على عقب بمجرد رؤيتها كانت جديدة في الشركة، تخضع لفترة اختبار وكنت أنا منشغلًا بعملي كالمعتاد ولكن عندما رأيتها، وكأن الزمن توقف لبرهة عيناها كانتا كالسحر فيهما بريق غريب، أشبه

بنجوم الليل وهي تعكس نور القمر شعرت بأن قلبي، الذي لم يكن يعرف سوى الرتابة، قد بدأ ينبض بإيقاع مختلف، سريع ومربك حاولت الحفاظ على هدوئي، ولكن داخلي كان يشتعل بمشاعر لم أكن أستطيع تفسيرها

لم أكن أجرؤ على الاقتراب منها، فكلما هممت بالكلام، شعرت بأن الكلمات تتبعثر، وأن صوتي يخونني كنت أكتفي بأن أراقبها من بعيد، أن أحفظ كل تفاصيل وجهها، ضحكتها، وطريقتها في الحديث مع الآخرين كانت شيئًا من الجمال البسيط، الذي لا يتكلف ولكنه يأسر كنت أشعر بضعفي كلما مرّت بجانبي، أبتسم بلا وعي وأهرب بنظراتي خشية أن تلاحظ اضطرابي

في يوم من الأيام، لاحظت غيابها بدا المكان خاليًا رغم ازدحامه، وكأن كل شيء فقد معناه كنت قلقًا، ولكنني لم أكن أملك الجرأة الكافية لأسأل عنها مباشرة بعد صراع داخلي طويل، جمعت شجاعتي وسألت إحدى صديقاتها أخبرتني أنها مريضة شعرت حينها بثقل في قلبي، وكأن غيابها كان أكثر من مجرد غياب جسدي، كان غيابًا لنبض الحياة من حولي

بدأت أفكر طوال الليل، هل من الممكن أن أتواصل معها؟ أم أن الأمر أكبر من شجاعتي؟ بعد محاولات كثيرة، وبعد أن أقنعت نفسي أخيرًا، طلبت رقمها منها ورغم أنني شعرت بخجل بعدما أن أخبرتها انني سأرحل إلى مكناس و ايضا أخبرتني أنها ستذهب لزيارة أهاليها في تاونات ، إلا أن القلق والشوق كانا أقوى من أي شعورآخر

مرّ أسبوع قبل أن أتمكن من الاتصال بها كنت أحتاج إلى وقت لأجمع شجاعتي و أقررماذا سأقول وعندما اتصلت بها أخيرًا كنت أرتجف، وكأن صوتي سيفضح كل ما أخفيه كانت نبرتها هادئة وناعمة حتى وهي مريضة، شعرت بأن الكلمات التي تقولها تحمل نوعًا من الدفء الذي افتقدته في حياتي لم أستطع أن أسيطر على مشاعري

بدون وعي أو تخطيط، أخبرتها بكل شيء عن خوفي وقلقي حين غابت، عن اهتمامي الذي نما يومًا بعد يوم، وعن إعجابي الذي لم أستطع إخفاءه كنت كمن يفتح قلبه لأول مرة دون أن يخشى الرفض، لأن كل ما أردته في تلك اللحظة هو أن تعرف ما تعنيه بالنسبة ليأحبها بكل قلبي لكن غيرتي تتحول إلى سجن يخنقها تؤدي إلى فر اقنا كلما

زادت غيرتي زادت حيرتي واشتباهاتي لم أدرك أن حبي كان يتحول إلى سجن حتى لم أعد أستطيع إطلاقها الآن أدرك أنني يجب أن أصلح أخطائي و أتركها لتستنشق الحرية لكن لم أنسها وستظل في قلبي سأترك غيرتي لتتلاشى وأعطي حبي فرصة للانطلاق من جديد.

بعد فر اقك أدركت قيمة الحب الحقيقي تألق عينيك غاب، وقلبي أصبح فارغًا أشعر بالفراغ دونك وكل يوم يزيد من ألمي دونك، كل شيء بلا معنى أريدك عودك إلى حياتي لأحيي مرة أخرى ولأملأ الفراغ الذي تشكله غيبتك أريدك عودك لأعيش من جديد، ولأستمر في الحلم الذي بنيناه معًا، حتى وإن لم أكن أعني لها شيئًا

يوما على يوم نحب بعضنا حتى صرن جزء واحدا رغم كل هدا الحب المشاكل تلاحقني

سال عبد الحليم ، كيف ومذا

فجأة بدأت بصوت مرتفع اقول الى القاء إلى الأبد لا سماء في هذه الليلة، لا سهر، لا مدينة، لا بلد. أجلس متكئًا على وحدتي، شارداً في لا أحد. كأن العالم انكمش حتى لم

يتبق منه سوى ظلال باهتة لا تعنيني. الهواء يمر ببطء، وكأن الزمن فقد إيقاعه المعتاد، ينساب كريحٍ واهنة بين شقوق روحي. أستمع لصمتٍ يحمل صدى ذكريات لم تعد تُسمع، وكأن الماضي يُلقي بي في فراغٍ بلا نهاية.

إلى إلقاء إلى الابد أين أذهب إذا كانت الطرق جميعها تؤدي إلى اللاشيء؟ أين أختبئ إذا كانت الوحدة تسكنني، لا تهرب مني؟ الليل طويل كأنه عمرٌ آخر، وأنا بين أطياف أفكاري أبحث عن مخرجٍ لا وجود له. أغمض عينيّ وأحاول أن أستعيد وجهًا، صوتًا، أي ذكرى تُحييني، لكن لا شيء يظهر سوى الغياب، يبتسم لي ببرود ويقول: 'أنا كل ما تبقى لك.

الى القاء إلى الابد أمد يدي إلى فنجان قهوة بارد، كروحي تمامًا، وأرتشف منه ببطء، لعل مذاقه يعيد لي إحساسًا ضائعًا. لكنه يمر كالغبار في حلقي، بلا أثر، بلا حياة. ربما هكذا هي الليالي التي بلا سماء، بلا سهر، بلا مدينة، بلا بلد مجرد محطات انتظارٍ للفراغ.

وفجاة وجدت نفسي في سيارة صديقي والحليب بين يدي يخبروني اناني بدأت بسوراخ و اني اكترت من شراب و أنه سيوصلني الى المنزل

التانية صباح اصبح شعور غريب ينتابني ، يغمرني ويتدفق حول مسام المشاعر، أضن أن شئ غريباً سيحدث يا فرحا يكسر همومي أو حزنا يزيل ابتسامتي

لا أحد يحب أن يموت حتى لو اظهر نية الانتحار أو الرغبة في مغادرة الحياة تحت تأثير الظروف القاسية

غريزة حب البقاء عند الانسان اقوى وقد يكون حب البقاء طريق للموت

مجرد أفكار تُرحل النوم مجرد كلمات من المشاعر مجرد كاتب احمق ، قررت بان اتصل بحبيبتي الانتى لكي احل مشاكلنا بالمنطق و ابتعد قليلا عن التفكير، رغم أن إقناع هده الفتاة شيء مرهرق ،

لم يطل الخط في الاتصال أجابت كأنها تعلم أني لن ابتعد عنها قالت لي أرهقت نفسي حين أحببتك بصدق،

أخبرتها أن الحب بصدق كلام يخرج مني دون تصنع أخبرتها إني أحبها اكتر من نفسي وأن ما أفعله ليس كما تضم من أفكار أخبرتها أنها عصفورة مسجونة في قفص قلبي ليتني أخبرتها إني أخشى أن ترحل أن تذهب إلى قفص

يستغل صوتها أخبرتها إني أحبها أ، أغارولا اعلم كيف اقول ذلك ، آسف

لكن لم أخبرها أن في يوم من الايام كان حلمي الموت ، ولم أخبرها:

أتعبتني الأيام قد تكون النهاية فرحا شديدا اوقد يكون التعب وفيا يحبني بجنون

كل ما احب لا يحبنني

لم اتوقفعن الكلام بدأت الحن الكلام أخبرتها أنت لا تعرف ما معنى أن يحبك شخص متعب؟ شخص رغم مرارة ما بداخله، يحاول أن يحبك بكل حلاوة العالم، ورغم كل الفوضى التي تسكنه، فإنه يرتب نفسه لأجلك

أحبها بكل قلبي لكن غيرتي تتحول إلى سجن يخنقها تؤدي إلى فر اقنا كلما زادت غيرتي زادت حيرتي واشتباهاتي لم أدرك أن حبي كان يتحول إلى سجن حتى لم أعد أستطيع إطلاقها الآن أدرك أنني يجب أن أصلح أخطائي و أتركها لتستنشق الحرية لكن لم أنسها وستظل في قلبي سأترك غيرتي لتتلاشى وأعطي حبي فرصة للانطلاق من جديد.

بعد فراقك أدركت قيمة الحب الحقيقي تألق عينيك غاب، وقلبي أصبح فارغًا أشعر بالفراغ دونك وكل يوم يزيد من ألمي. دونك، كل شيء بلا معنى أريدك عودك إلى حياتي لأحيي مرة أخرى ولأملأ الفراغ الذي تشكله غيبتك أريدك عودك لأعيش من جديد، ولأستمر في الحلم الذي بنيناه معًا

قالت لي: يا اصدقائي لو كان الحب كافيًا، لكانت الأمور بسيطة جدًا.

فأجبتها: أنا أفعل ما بوسعي، لكن ما العمل بعد ذلك؟

قالت: أصبحنا لا نعرف عن بعضنا شيئًا سوى أننا على قيد الحياة فقط.

فأجبتها: هل تريدين الفراق؟ هل تريدين أن أرحل؟ سأذهب، لكنني لا أستطيع ترك كل تلك الذكريات، كل تلك اللحظات بيننا. لا أستطيع أن أتركِكِ في قفص قلبي. إذا كان الفراق هو ما تريدين، إذًا سأرحل.

قالوا عني: ها أنت تعود إلى ظلمات غرفتك، إلى سريرك الذي أصبح جزءًا منك، مهزومًا، وحيدًا، معتمًا، بعد أن أدركت أن لا أحد سيبقى بجانبك، حتى أصبحت في شك من

نفسك. هل الخطأ في الآخرين؟ أم أن الفقد كان قدرك منذ البداية؟

أخبرتهم: آه لو كان بإمكاني أن أمنحكم فكرة عن إحساسي بالوحدة التي تملأ كياني الآن! لا أجد بين الأحياء أو الأموات من يشبهني أو حتى من يشعربي. وهذا أمر مخيف، مخيف جدًا.

ثم عدت إليها، لم أستطع الفراق. شعرت بالشفقة على نفسي،

وأخبرتها: أنا مرهق، لا أستطيع التفكير في شيء. كل ما أريده الآن هو أن أدفن وجهي في صدركِ، وأن أشعر بيدكِ وهي تمسح على رأسي، وأن أبقى هكذا، إلى الأبد

بكل هدا الشعر والكلام الجميل ، الحب ، المنطق ، الخيال ، وكل طاقتي اخرا حن قلبها لكن مع الاسف لم تفهم سوا أنني اخنقها وأخبرتني بشيء مهم درس في الغيرة والشك وأخبرتها وأشياء تقلقها ، واخبرتني بأية من القرآن أن أبحث على قوله عز وجل ، الآية التي تتحدث عن النهي عن

التجسس في القرآن الكريم هي قول الله تعالى في سورة الحجرات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم (سورة الحجرات: 12)هذه الآية الكريمة تأمر المؤمنين بالابتعاد عن سوء الظن بالآخرين، وتحرم التجسس، وتنهى عن الغيبة، وكل ذلك لحفظ المجتمع من الفساد والانقسام.

وعدتها مجدد بأن أكون شخصاً منفتحا وقطعت كلامي بسؤال هل اشتقت لي اجبتها أكثر من نفسي

هنا استنتج شيء

هي أشبه برقصة غير متزنة على أرض متحركة، حيث تحاول أن توازن خطواتك بينما يتغير الإيقاع فجأة، فتجد نفسك بين لحظة وأخرى أمام شخص مختلف تارة هادئ كشجرة في يوم ربيعي، وتارة عاصف كريحٍ هوجاء لا تستقر على حال. إذا كان المتقلب شخصًا آخر، فأنت في معركة مع

قرارات غير متوقعة، وكلمات متغيرة، وردود فعل لا تتبع منطقًا ثابتًا. أما إذا كان المتقلب هو ذاتك، فأنت في صراع بين ما تريده اليوم وما ستنكره غدًا، بين يقين اللحظة وشكوك الزمن. إنها مواجهة تستنزف الصبر، لكنها تفتح بابًا لفهم أعمق هل نحارب التقلّب أم نتعلم الرقص معه؟

و أيضاً هنا تخيلت الفراق وعرفت ان الحب والمشاكل تخيل يا سيدي ويا سيدتي، أنك تستيقظ صباحًا، تتوجه إلى المرحاض لقضاء حاجتك، ثم تفطروتذهب إلى عملك أو دراستك. روتين يومي بسيط لا يحمل مفاجآت. لكن فجأة، يدخل شخص ما إلى حياتك بطريقة لم تكن تتوقعها، كفيروس يتسلل إلى جسدك ويعطلك قليلًا.ط

تبدأ أيامك تأخذ منحى مختلفًا، تستيقظ على صوته، تتحدث معه أولًا، يصبح جزءًا من يومك، ثم يصبح هو يومك كله.

يصبح حاجتك التي لا غنى عنها، المحور الذي تدور حوله تفاصيلك الصغيرة والكبيرة. ثم، ذات يوم، يرحل

هنا، تجد نفسك أمام خيارين: إما أن تغرق في الاكتئاب مدى الحياة، أو أن تحاول الانتقام عبر كثرة العلاقات، متوهمًا أنك تستعيد توازنك. كأن شخصًا أخذك بسيارته إلى صحراء قاحلة، ثم تركك هناك وحدك، لا تعرف طريق العودة. في النهاية، لديك خياران لا ثالث لهما: إما أن تستسلم وتغرق في حزنك، أو أن تنهض، ولو بعد عناء، وتعود إلى حياتك كما كنت، وربما أقوى مما كنت.

أمر خطير خصوص أن حدث هذا لطرف المشاعر والغبي ، قد يادي بيها الأمر إلى تفكير في الانتقام يا أن تتزوج وتضهر لطرف الآخر أن غيره احبه أو تنتقل من رجل الى آخر لتملأ عطيفتها وفي الاخر تبقى قرورة جنسية - في النهاية أدركنا أن البِداية قد خدعتنا.وفي البداية نحن ننتمَي دائماً للأماكن التي تُشبِنها

ليل هادئ، ضوء المصباح في الغرفة خافت، أجلس وحده ولازال قليل من الخمر بين يدي،

كان الجو باردًا، والليل هادئًا إلا من أنفاسي التي تخرج مع البخار. كنت مخمورًا، بالكاد أتمالك شيء من الوعي، حين لاحظت ذلك الظل الذي ينبعث مني، يتراقص مع

ضوء المصابيح الخافتة على الحائط . شعرت بشيء غريب يجذبني نحوه، وكأن الظل لم يعد مجرد انعكاس لجسدي، بل كيانًا حيًا يستمع لي. بدأت الحديث معه كأنني أتحدث إلى صديق قديم.

أخبرته أنني أبذل جهدي كي أزيح الضباب الذي يحجب مستقبلي، ذلك الضباب الذي يجعلني أشعر بأنني أسير في طريق مجهول.

قلت له: أنا في سن سأُسأل عنه يوم الحساب، عن كل لحظة عشتها، عن كل سنة مرت، وسيأتي يوم أقول فيه: ياليتها تعود.

كنت أحكي له عن كل خطوة أخطوها، كل محاولة أقوم بها لتثمر شيئًا يومًا ما. أخبرته عن الأحداث التي تصادفني، تلك التي تتحداني، وتعلمني الصبر، وأحيانًا تكسرني.

كنت أحدث ظلي، لكنه بدا لي وكأنه يفهم، يصغي، وربما كان يواسي تلك الروح المتعبة بداخلي، التي لا زالت تبحث عن طريقها يتحدث بصوتي هنا علمت أن الخمر بدأ من

جديد لكن لم اقاوم من جديد المتعة بين وبين نفسي خلت حوارا

الظل: لماذا يبدو وجهك مثقلًا بالأفكار الليلة؟

تنهدت قائلا كنت أفكر في شيء يزعجني منذ فترة نسبة الطلاق في المغرب أصبحت مرتفعة جدًا.

الظل : وهل هذا شيء مفاجئ؟ مجتمع مليء بالتناقضات، زيجات تُبنى على الوهم، وأخرى تنهار عند أول اختبار حقيقي.

انا بنبرة صوتي : نعم، لكن ألا تعتقد أن هناك أسبابًا واضحة؟

الظل أو صوتي الخافت : بالتأكيد! لنبدأ بالخيانة الزوجية، فقدان الثقة يجعل العلاقة تنهار مثل بيت من ورق

عماد : وأيضًا الضغوط المادية، فالحياة أصبحت مكلفة، والمشاكل المالية تقتل الحب تدريجيًا.

الظل: ثم هناك العنف، سواء كان جسديًا أو نفسيًا علاقة تقوم على الخوف لا يمكن أن تدوم

عماد : لا ننسَ تدخل الأهل، بعض العائلات تتعامل مع الزواج وكأنه ساحة حرب، كل طرف يحاول السيطرة على الآخر

الظل : و أيضًا الزواج القسري والمبكر، كم من فتاة صغيرة تجد نفسها في حياة لم تخترها ؟

عماد : كل هذه الأسباب حقيقية، لكن السؤال هو: ما الحل؟ هل يمكننا فعل شيء لتغيير الو اقع؟

الظل يبتسم بخبث : سؤال معقد لكن لنحاول.

عماد : أولًا، لابد من نشر الوعي قبل الزواج، تعليم الناس كيف يكون الزواج مسؤولية وليس مجرد حفل زفاف فاخر

الظل : و أيضًا تحسين ثقافة الحوار بين الأزواج، لو تعلموا كيف يناقشون مشاكلهم بدلًا من التهرب أو الصراخ، لكان الطلاق أقل.

عماد : لا يمكننا أن نتجاهل المشكلة الاقتصادية، يجب توفير فرص عمل ودعم للشباب حتى لا يصبح الزواج عبئًا ماليًا خانقًا.

الظل : ومن الضروري مكافحة العنف والإدمان، فالشخص الذي يؤذي شريكه لا يستحق أن يكون زوجًا.

عماد: ماذا عن التدخل العائلي؟

الظل: بسيط ضع حدودًا واضحة منذ البداية، الزواج بين شخصين وليس بين عائلتين متحاربتين.

عماد يبتسم أخيرًا: إذن هناك حلول لكنها تحتاج إلى إرادة حقيقية من الجميع.

الظل يختفي تدريجيًا: لكن هل المجتمع مستعد لذلك؟ هذا هو السؤال الحقيقي يا عماد...

خلت أننا قلنا معا : لا يصديقي أصبح طلاق في يد ما جعلهم لله ناقصة عقل

وقلت مبتسما وشفتاي ببطئ الزواج ليس مجرد عقدٍ يُوثَّق على الورق بل هو عهدٌ تُسقيه المودة، وتُظلّله الرحمة، ويُثبّته الصبر والتسامح فحين تهبُ رياح الخلاف لا يكون الحل في الهدم بل في الاعتبار، أن يأخذ كل طرفٍ بيد الآخر برفق، أن ينظر إليه بعين التقدير لا اللوم، وأن يدرك أن الحبَّ ليس كلماتٍ عابرة بل أفعالٌ تصون العهد. فإن ساد

التسامح، خفتت نيران الغضب وإن سكن الصبرُ القلوب زال العتاب وإن ظلَّ الاعتبارُبينهما بقي الزواجُ واحةً لا تجفُّ أزهارُها مهما عصفت بها الأيام

انتهيت من حوارٍ طويل مع ظلي، وها أنا الآن معكم، أعزائي. أود أن أبدأ بالحديث عن أمرٍ قد يغفل عنه الكثير: أن الفتاة قد تنسى عذرية الفؤاد، التي هي في رأيي الأهم على الإطلاق. نعلم جميعًا أن الحب ليس محرمًا قبل الزواج، بل هو أمرٌ طبيعي جدًا، ولكن أغلب الفتيات وحتى نحن، نقع في فخ ما يُسمى بـ الحب المحرم، دون أن نلتزم بالشروط التي وضعها الدين والعقل.

لكن كيف نعالج الضياع والطلاق؟ حملت مذكرتي وقلمي، وأضيأت المكان بنور التفكير. طالب الحقوق أنا، درست مدونة الأسرة بتمعن، وأدركت أن بداية الزواج قد تكون ميسرة قليلًا، لكن نهايته قد تكون أيسر منها. كيف ذلك؟ الطلاق، التطليق أسئلة كثيرة تدور في الذهن. نعم، شهدت العديد من الأحداث في حياتي. لازلت عازبًا، لكنني مطلع على الكثير من النوازل التي مر بها الآخرون. أولًا، كتبت

أغلب المشاكل التي عايشتها أو سمعت عنها، ولن أبخل عليكم، أعزائي القراء

لكن الأمر ليس كما يبدو. بعض الأمور تثير التشويش في أفكارنا. أولها أن الفتاة تركز على عذرية المجتمع وتنسى عذرية الفؤاد. كيف ذلك؟

إن الطرفين اليوم يعيشان في دوامة العولمة، حيث تتداخل الأفكار والتقاليد، وتغمرنا كل تلك التأثيرات حتى ننسى ما تربينا عليه من قيم وأصول. في البداية، يبدو التقليد أمرًا جميلاً، لكنه سرعان ما يصبح قيدًا يقيدنا نحب ولكن لا نرتبط نكبر دون أن نتعلم ما تعنيه المسؤولية الحقيقية. في زمننا الحالي، لم يعد الأمر كما كان في زمن آبائنا الفلاحين، حيث كان الخير موجودًا حتى وإن أحببت أربع نساء، كان الزواج يسيرًا

أما اليوم نحب ولكن الزواج أصبح حلمًا بعيد المنال. قد يظهر شخص أكثر استقرارًا أو أجمل منك، ويأخذ تلك الفتاة التي لا يُفرض عليها التقاليد أو شروط الزواج. وبالطبع، هي لن تستطيع إخبار والدها بما تشعر به، لأن ذلك قد يجعلها تُعتبر زانية في نظر المجتمع

من إذن سيأخذها؟ سيكون شخصًا يفرض عليها الالتزام بالقانون والدين والعرف. ولكن، هل سيعيش معها في سعادة؟ بالطبع لا لن يقضي معها لحظات سعيدة كما كانت تتخيل، بل قد يعيش معها يومًا كاملاً ويكتشف التفاصيل المرعبة: هي تطلق غازات، تأكل بعنف، ولا تضع طلاءً على وجهها. وعندما يراها، لن يرى فيها سوى شخص مُرهق، تفوح منه رائحة العرق.

هنا يأتي الحنان، يأتي الحبيب، يأتي الحب الأول، وتبدأ المقارنة التي لا مفر منها صراعٌ داخلي بين الماضي والحاضر، بين الذكريات والواقع. ولكن هذا كله لا يظهر للزوج، ولا يظهر أيضًا للزوجة اشتياقها لأحد غيره. رغم ذلك، الأفعال هي من تكشف حقيقة الأمور، فتبدأ الحرب الخفية التي لا يراها الآخرون. في صمتٍ عميق، تتشكل التوترات وتظهر الفجوات بين ما هو ظاهر وما هو خفي، وتبقى الأفعال هي التي تتحدث بصوتٍ عالٍ، حتى وإن كانت الكلمات صامتة

أنا لست من أصحاب الحبة الحمراء أو من مؤيدي النسوية، بل أنا مجرد شخص يسعى إلى إزالة الأوهام وتوضيح الحقائق. ما أكتبه هنا هو تأمل في الحالة التي

نعيشها اليوم، حيث لا يزال تأثير الخمر يطغى على حياتنا الحل الحقيقي يكمن في التربية. كيف يمكننا مراقبة الأبناء لضمان ابتعادهم عن كل ما يتنافى مع قيم الدين والعادات والتقاليد؟ كيف يمكننا تعليمهم المبادئ السليمة التي يجب أن يسيروا وفقًا لها؟ في هذا العصر الذي أصبحت فيه بعض الأمور شائعة، أقترح أن نعيد النظر في بعض الممارسات التي ساعدت في ترسيخ القيم، مثل الزواج المبكر الذي كان متبعًا في زمن آبائنا، أو تقليص تأثير التكنولوجيا مثل إبعاد الهواتف المحمولة والعمل على إحياء النظم التقليدية التي تساهم في تعزيز التربية السليمة. لا يوجد حل سهل لهذه المشكلة، لكنني أعتقد أنه من الضروري أن يقوم أحد الكتاب بدراسة هذه الظاهرة وتحليل الأسباب التي جعلتها تنتشر وتؤثر في المجتمع.

إن من أخطر الأمور التي لاحظتها لدى العديد من المطلقات هو تذكرهن للحبيب السابق، حتى وإن كان ذلك مصحوبًا بكأس من الخمر، حيث تحكي لي كل واحدة عن معاناتها ومشاعرها المخبأة في أعماق قلبها. لكن ليس الجميع في هذه الحالة، إذ من حق كل شخص أن يختار من

يعامله بالشكل الذي يستحقه. رغم أن البعض يختار أمورًا قد تكون ضارة، إلا أن هذا لا يمنع الواقع من أن يكون أحيانًا قاسيًا.

أتذكر إحدى الجلسات التي كانت مليئة بالخمر، حين أخبرتني إحدى النساء عن حبها الذي لم يوافق والدها عليه، لأنه كان في بدايته ويفضل الاستقرار. لكنها تزوجت قسرًا من رجل كان صديقًا لوالدها، يملك المال ولكنه يفتقد للأخلاق. هذا لا يعني أن كل النساء في مثل هذه الظروف هنّ ضحايا، لكن يظل هناك من أُجبروا على السير في طرق لا يرغبون فيها. الحياة أحيانًا تفرض علينا خيارات مؤلمة، لكننا نملك الحق في اختيار مصيرنا، حتى وإن كانت تلك الخيارات مليئة بالتحديات هذا لا ينفي أبدًا وجوب طاعة الآباء أو أولي الأمر من قِبَل الشاب أو الشابة، لأننا أمامهم لا نعلم شيئًا، فهم يرون ما لا نراه، ولديهم من التجربة والخبرة ما يفوقنا، ويعرفون ما نجهله. لكن الاستثناء الوحيد والخطأ الحقيقي هو التخلي عن الأخلاق من أجل المال أو أي شيء يتنافى مع الدين أو القيم الإنسانية أيضًا، تدخل بعض النساء، كما نرى اليوم، في أمور تحضير

العرس أو فرض شروط على الزوج أو الزوجة، حيث تسعى بعض الأمهات إلى تحقيق أمور تافهة أو المطالبة بمتطلبات سخيفة فقط لإرضاء الجيران أو لمجرد المظاهر. هذا خطأ شائع، ولديَّ الكثير لأقوله في هذا الموضوع. لن أنهي هذا الكتاب حتى أفضح كل الأخطاء التي تساهم في فساد المجتمع و انحطاط النفس الأمّارة بالسوء أو الهو

أنهيت الكلام، أحرقت كل الأوراق، لم يعد هناك ما أخبركم به عمّا في قلبي. انتهى حواري مع الظل، خمدت الأصوات داخلي، و انتهى مني مفعول الخمر وفجأة، تذكرت أن لدي حصة مع تلاميذي غدًا.

منذ بداية الدورة، كنت متحمسًا لنقل كل ما أعرفه إلى تلاميذي. في مركز الدعم الخاص بي، حيث أُدرّس الفيزياء والكيمياء، أشعر بمسؤولية أن يفهم الجميع، أن يستفيدوا، أن يخرجوا من الحصة بفهم أعمق للعلم، لا مجرد حفظ القوانين.

في هذا اليوم، كانت الحصة مخصصة لمستوى الإعدادي، ساعة ونصف حول درس السرعة المتوسطة. بدأت بشرح العلاقة الأساسية: السرعة المتوسطة تساوي

المسافة مقسومة على الزمن ثم انتقلت إلى الوحدات، طرق التحويل، وأهم التطبيقات. كنت أحرص على تبسيط المفاهيم، على أن أجعل الفيزياء منطقية وسهلة.

لكن مع مرور الوقت، لاحظت شيئًا غريبًا في جميع الأقسام القسم لم يعد مكانًا للحوار أو التفكير، بل صار مجرد مسرح لصمت بارد، حيث التلاميذ يملؤون دفاترهم بحروف لا يفقهون معناها، والأساتذة يتظاهرون بإنجاز الدروس كمن يحرث في البحر. كل ما يهم هو أن يسير المقرر، أن تنتهي الحصة، أن يمضي اليوم ولكن إلى أين؟

أبحث في عيون التلاميذ عن شرارة فضول، عن سؤال يقطع هذا السكون، عن رغبة في فهم العالم، فلا أجد سوى نظرات خاوية، أو انشغالًا بما هو خارج أسوار المدرسة: ترند جديد، فضيحة جديدة، مقطع مضحك، وعدٌ بالشهرة لمن يجيد فن التقليد. كيف أقنعهم بأن المعرفة ليست مجرد وسيلة للحصول على آيفون أو فيراري، بل نافذة واسعة تطل على عوالم لم يعرفوها بعد؟

روح المدرسة ماتت، أو ربما هي في غيبوبة طويلة لا شيء يحرّك هذا الركود، لا سؤال، لا نقاش، لا جدل، لا شغف.

كأن القسم صار ضريحًا مهجورًا، كأننا مجرد ممثلين في مسرحية عبثية، نكرر المشهد ذاته كل يوم، ونحن نعلم أنه بلا معنى

ومع ذلك، لا أحد هنا يريد البقاء. التلاميذ يحلمون بالهروب، يرددون أن الحل في السفر، في الغربة، في أي مكان بعيد عن هذه الجدران التي تخنقهم. ولكنهم لا يعلمون أن الأستاذ أيضًا يرى نفسه سجينًا، أنه بدوره يتصفح إعلانات الوظائف في الخارج، يبحث عن فرصة للهروب من ظروف العمل التي يضيق بها صدره كل يوم أكثر. هم يريدون الغربة وهم لا يعرفون حقيقتها، وهو يريدها رغم يقينه أنها ليست حلًّا سحريًا في النهاية، كلٌّ منا يهرب بطريقته، ولكن إلى أين؟

والأدهى من ذلك، أننا حين نلتقي في هذا الفراغ، كلٌّ منا ينظر إلى الآخر بعين الشفقة التلاميذ يرون في الأستاذ نموذجًا قديمًا لا يفهم العصر، والأستاذ يرى في التلاميذ جيلاً ضائعًا غارقًا في وهم الشهرة واللايكات. فهل نحن حقًا في ضياع؟ أم أن الضياع هو أن نظل نردد هذه الأسئلة دون أن نبحث لها عن أجوبة؟

لا يعلمون أن من يقف أمامهم كان يومًا مشاغبًا، لا يعرفون كم من تقرير كُتب عني، وكم مرة رسبت، وكم غبت عن الدروس. لا يدركون ما مررت به عندما كنت طالبًا في سلك الإجازة، من جوع، وإدمان، وكل أنواع التفاهات.

لا يعلمون أني كنت أكثر إدمانًا على الهاتف منهم، ولا يعرفون شيئًا عن طعم البطالة. كل ما يشغلهم هو تلبية طلبات آبائهم، والخروج من بلادهم لتحقيق ما يرونه عبر الشاشات، دون أن يدركوا أنهم لا يعرفون شيئًا عن العالم خارج أسوار المدرسة وحضن الآباء.

أتممت الحصة الأولى معهم، وقبل أن أنهي الدرس، طلبت منهم إعداد بحث حول أسباب حوادث السير وعلاقتها بموضوع السرعة المتوسطة أردت أن يربطوا ما تعلموه بالو اقع، أن يدركوا كيف تؤثر الفيزياء في حياتهم اليومية، وليس فقط في المسائل النظرية والامتحانات

في الحصة الثانية مع تلاميذ السنة الثانية بكالوريا، كانوا مرعوبين كالعادة. قضيت حوالي خمس عشرة دقيقة في دعمهم نفسيًا، أخبرتهم أن الشهادة ليست سوى مفتاح

لفتح أبواب، وليست النهاية كما يظن البعض. لكن المجتمع يعطيها قيمة، وهذا شيء لا يمكن إنكاره

ثم شرحت لهم أنه يجب عليهم أن يأخذوا العلم ليس من أجل الحصول على تلك الورقة فقط، بل لأخذ ما سينفعهم في المستقبل، ما يسهل عليهم الانسجام مع توجهاتهم في الكلية أو المدرسة العليا، ويجعلهم قادرين على بناء مسار مهني يتناسب مع طموحاتهم.

لكن المشكلة تكمن في التوجيه، لا أحد يعلم شيئًا حقيقيًا عن المستقبل. كما كنت أنا أيضًا، كنت أطمح للقيام بأي شيء يضمن لي المال، وأردت أن أصبح أي شيء يريده والدي. والأمر نفسه بالنسبة للمحيط الذي لا يهتم إلا بالبكالوريا، ولا يعير انتباهًا لما يلحقها من معاناة ومحن.

حتى من يتحكم في هذا القطاع لم يعش ما عشناه نحن. لا منح دراسية، ولا برامج دراسية تشبع احتياجاتنا. ندرس العربية في الابتدائي، ثم فجأة تتحول كل الدروس إلى الفرنسية، ونحن لا نفهم فيها شيئًا. وعندما نذهب إلى الكلية، نجد أن جميع الدروس تُدرّس بلغة لا نعرفها، إلا من كان له دعم مالي أو دكتور يدرسنا لا يضيع وقته في شرح

باللغة العربية. وفي بعض الأحيان، حتى الأستاذ نفسه لا يعرف كيف يوصل الفكرة بشكل واضح.

لن أنسى أيضًا تلك المناطق الجبلية التي لا توجد فيها طرق أو كهرباء، كيف لهم أن يتخيلوا ما نمر به؟ لكن رغم كل هذه الظروف، لا تزال بلادي تنتج العباقرة، الذين يصنعون الفارق رغم كل الصعوبات

بعد الانتهاء من الحصص الدراسية، قررت التوجه إلى المدرسة لمتابعة سير العمل وضمان تلبية احتياجات الأستاذة، كما قمت بأعمال التنظيف وتولي شؤون المكان الداخلية. في تلك اللحظات، فوجئت بمشكلة غير متوقعة حيث علمت أن سمسار العقار الذي يتعامل مع صاحب المنزل في الطابق العلوي أو الثالث، الذي كان مجرد وسيط، بدأ في ممارسة ضغوطات لإجبارنا على مغادرة المكان وعلى الرغم من كونه ليس صاحب القرار، إلا أنه كان يتصرف وكأنه هو من يملك الحق الكامل في تحديد مصيرنا.

استفسرت عن السبب الحقيقي لهذا التصرف، واكتشفت أن الطابق العلوي يواجه صعوبة في تأجيره بسبب الضجيج الذي يعتقد أنه يصدر من مدرستنا. وتفاقم الوضع عندما بدأ هذا الشخص في مضايقة شريكي في المشروع، بالرغم من أن المشروع في بداياته وكان هدفه الأساسي هو توفير فرصة تعليمية مجانية للجميع دون البحث عن الربح.

كانت نيتنا الأولى هي أن نساعد في تعليم الطلاب وأن نساهم في تقدمهم الأكاديمي بعيدًا عن أي تفكير مادي.

عندما شعرت أن الأمور تتجه نحو تعقيد إضافي، أخبرت السمسار بأن العقد بيننا يمتد لمدة ثلاث سنوات و أنه كان يعلم من البداية بأن المكان سيُستخدم كمدرسة. أكدت له أن المو افقة كانت واضحة بيننا، ومع ذلك استمر في تجاهل الاتفاقات وأصر على فرض شروطه الخاصة. كان السمسار رجلًا مسنًا ، يقارب الثمانين عامًا، وما كان يزعجني أكثر هو أنه بدأ يضع اللوم على شريكي ويتهمه بأن سبب الضجيج هو تصرفاته، دون أن يتأكد من حقيقة الوضع.

حاولت مرارًا شرح الموقف بهدوء، مذكّراً إياه بشروط العقد التي وقعنا عليها جميعًا. كان من المفترض أن تكون الأمور واضحة، لكن التعنت والتمسك برأي واحد جعل الأمور تزداد تعقيدًا. كان واضحًا أنني كنت أمام مواجهة لا مناص منها

لم يدم صبري طويلًا، خاصة عندما قررت التحدث مباشرة مع الوسيط الذي كان يسعى للتأثير على الوضع بطريقة غير منطقية. أخبرته بصراحة أنني لن أقبل أن أكون الطرف الذي يدفع الثمن طلبت منه أن يدفع لي الإيجار المستحق عن الشهر الذي مضى، وأن يوقع عقدًا يُلزم صاحب المنزل بعدم فتح مدرسة أخرى في نفس المكان أو استغلال المحيط بنا على الرغم من أنه كان يعتقد أنه يسيطر على الموقف، إلا أن رده كان مستفزًا للغاية، حيث أخبرني أنني سأتكفل بكل التكاليف الخاصة بتجهيز المكان كإصلاح الطلاء وتركيب الأثاث.

في تلك اللحظة، لم أستطع تحمل المزيد من المماطلة فقررت إغلاق الهاتف في وجهه

لكنني لم أستسلم، فقد قررت دفع إيجار الشهر بالكامل، وبدلاً من الاستسلام للمو اقف المزعجة، توجهت إلى القائد ووضعت شكوى رسمية ضد هذا الشخص، مؤكدًا أن تصرفاته تعرقل سير العمل في المشروع وفي جمعيتي الخيرية والتي كانت تهدف إلى مساعدة الشباب وتعليم الأطفال . كان لدي يقين أن الأكاذيب التي كان يروج لها هذا الشخص لن تؤثر على مسيرتنا التعليمية. أخبرته بشكل واضح أننا إذا قررنا المغادرة في المستقبل، فسنغادر بأدب وبدون ضجيج و أننا ملتزمون بأداء عملنا بكامل النزاهة.

بعد ذلك، قدمت له شروط العقد بوضوح ، مع توضيح القبول والرفض بما يتو افق مع المعايير القانونية، وضمنت أن كل شيء في العقد كان واضحًا وموقعًا بيننا. أكدت له كذلك حقنا القانوني في هذه المسألة، مشيرًا إلى قانون الأسرة كمثال، حيث أكدت له أنه إذا رفض أحد الأطراف الخطبة، يجب عليه إرجاع الهدايا التي تم تقديمها قبل الزواج. كان ذلك بمثابة تذكير له بالاحترام المتبادل بين

الأطراف الموقعة على أي عقد، و أنه لا يمكن لأي طرف أن يتنصل من الالتزامات التي و افق عليها في البداية

أنا شخص مليء بالتناقضات، أعيش في صراع داخلي دائم. من جهة، قد يعتبرني البعض الأكثر هدوءًا ووداعة في العالم، ومن جهة أخرى، أكون في أوقات أخرى أكثر قسوة ووقاحة، وكأنني أتصرف بطريقة لا تليق. بعض من أصدقائي يعرفون هذه الجوانب من شخصيتي لدرجة أنهم أسسوا مجموعة باسم نادي كريهين عماد، يعبرون فيها عن هذا الجانب المظلم من نفسي.

أحب الهدوء دائمًا، وأحاول إطفاء نار الشر الذي بداخلي ببعض الخمر، لكنني في نفس الوقت أعيش مع التناقضات في كل خطوة. أحيانًا أكون مكيافيلليًا، وأحيانًا أخًا أو رفيقًا، وأحيانًا أخرى أتصرف بطريقة شوفينية.

هذه التناقضات تجعلني أشعر بالضياع في بعض الأحيان، وكأنني أبحث عن نفسي في كل هذه الأدوار المختلفة التي ألعبها.

لكنني أعلم أن هذه المراحل جزء من رحلة البحث عن الهوية، و أنني قد أجد في النهاية التوازن بين هذه الأجزاء المختلفة من شخصيتي.

أن اخدت معارك فمن صالحي حتى وإن كانت ساخسر لم تنتهِ المشاكل هنا، فقد عدت إلى المنزل فوجدت جارتنا تتشاجر مع أمي. كانت حربًا مستمرة منذ أن ولدت، ولا أعلم من أين بدأت. أمي هي بحق أميرة النساء، والآخرون أيضًا، لكن الشيطان كان يلعب بينهما. بدأت القصة عندما كانت جارتنا تقوم بتأجير منزلها لأشخاص لا يريدون الخروج منه، ولم يكن هناك أي عقد بينهما أو اتفاق رسمي. كانت بينهما حرب دائمة.

وفي يوم من الأيام، طلبت المكترية أن تضع خيوطًا عند منزلنا، وبكل إنسانية و افقت أمي على ذلك. لم يكن من حقها أن تطلب المساعدة، لكن أمي فعلت ذلك عن طيب خاطر. وهذا كان الخطأ الذي أشعل الحرب بين الجارتين، وبدأت الأعداء تتجمع وتقتسم الزقاق. مرت الأيام والسنوات، ومرت تلك المكترية من حياتنا ورحلت، لكن

الحقد ظل في صدر الجارة، رغم أن أمي طالبتها بالمغفرة وتواصلت معها دائمًا في المناسبات والأفراح.

لكن ما لم تكن تعرفه أمي هو أن تلك الجارة كانت مريضة بعض شيء ، ولم تكن تستطيع التعامل مع الآخرين بشكل طبيعي. أضافت إلى ذلك أن ابنها الوحيد انتحررحمه الله كان أخا رغم صراع بين الآباء ، وزوجها رغم أنه موجود لكن غير موجود و ابنتها الوحيدة دائمًا في صراع معها. واستمرت الحياة بهذه الطريقة حتى اليوم الذي بدأت فيه أمي تنظيف أمام الباب، وإذا بالجارة تضربها بعصا. كانت الجارة ضعيفة، لكن عندما اقتربت منها، دفعتها أمي دفاعًا عن نفسها.

ثم تدخل الجيران وأوقفوا كل شيء، وكان الموقف غير معقول. كنت أر اقب وأضحك في داخلي، إذ كنت أرى حروبًا أكبر من هذه الترهات. كنت أرى استعمار الدول، وكيف يدافعون عن أنفسهم. لكن تدخل الجيران وأنهوا الخلاف، وظننت في البداية أن الجارة ستشرب دواءً وتعتذر. ولكن فجأة اكتشفنا أنها كانت تعاني من حالة نفسية شديدة، وأصبحت أكثرعدو انية، فبدأت تهاجم منزلنا.

في تلك اللحظة، لم يصمت أحد، فقد أصبح الجميع في الزقاق ضدها. لم يكن أحد يحبها في الحي، وعندما اعتدت على أمي، بدأ الجميع يتجمع وذهبوا بسرعة إلى الشرطة والقائد. كانت الأخبار تتنقل في المنطقة بأن هذه الجارة أصبحت أكثر جنونًا، وأن الجميع أصبح على حافة الصراع معها لم يطق والدي الأمر، فكان دائمًا يخشى علينا من الأذى. وعندما ذهبت ابنة الجارة لتشتكي بأن أخي قد تحرش بها، كان الأمر لا يُطاق بالنسبة لنا. كانت هذه الحيلة مجرد تصرف صبياني منها، إذ كانت تعلم أن هذا اتهام لا أساس له من الصحة

كان صديقها، الذي الان زوجها، هو من قام بهذا التصرف الطائش الذي انتهى بتدخل الشرطة وانهيارزوجها أمام أعين الناس

ابتعدنا عن تلك الحارة، فقد كانت أوقاتنا فيها مليئة بالمشاكل والخلافات. الناس القدامى الذين عاشوا أيام الاحترام والإنسانية في الحي الشعبي بدأوا يرحلون، إما لوفاتهم أو لإصابتهم بالجنون من كثرة الأزمات التي مروا بها.

في ظل هذه الظروف، قرروالدي أن يشتري منزلاً جديداً ويضحي بكل الذكريات التي كانت تجمعنا في هذا المكان، تاركًا وراءه تلك الأيام الصعبة والآلام التي عشناها، آملاً أن نبدأ حياة جديدة بعيدًا عن النزاعات والمشاكل.لن أنسى بيتي في السطح، ولن أنسى مطبخنا في المنزل السفلي.

لا أستطيع نسيان أرقام الدروج التي كنت أتسلقها يومًا بعد يوم، ولا تلك اللحظات عندما كنت أتعلم كيفية النزول، ثم سقوطي عليه. لن أنسى يوميات على هامش الحلم، وكيف كانت تجمعات العائلة في الأفراح والأحزان، حيث كنا نعيش كل لحظة وكأنها عناق للزمن.

لن أنسى عندما كنت أستلقى في السطح تحت السماء الواسعة، أو حين كنت أتسابق مع أخي على جهاز التحكم، كم كانت لحظات مليئة بالحياة والبراءة. لن أنسى جدران منزلنا التي كانت شاهدة على كل ذكرياتنا، ولا ذلك اليوم الذي بدأت فيه دموعي تنزل، وكأن الذاكرة نفسها تحاول أن تأخذني بعيدًا في رحلة لا أستطيع الهروب منها.

تبا لذاكرتي التي لا تترك لي مجالًا للنسيان، وتبا للعاطفة التي تأخذني في دوامة من الحنين تذكرت بيتي في

سنة الثالثة، عندما مررت من الزقاق و أنا في غاية الفرح، حتى فوجئت بالفقيه جالسًا يقرأ القرآن. كان المشهد مفاجئًا لي، لأنني رأيت الجيران يبكون وأخذوا يعانقونني. أخبروني أن أمي طريحة الفراش، وأنها ستكون في الجنة. لم أفهم في البداية، ولكن فجأة، شُفيت أمي تمامًا، وكأن جسدي جُفّ من الماء من شدة الصدمة

لن أنسى عيد الأضحى الذي قضيناه في سطحنا، وتلك الأجواء التي كانت مليئة بالفرح والبهجة. كانت لحظات لا تُنسى، حيث تجمعنا كعائلة وأصدقاء، نحتفل بكل ما هو جميل وبسيط، وكانت السعادة تغمر كل زاوية في ذلك البيت

قطع أيوب حزني عندما اتصل بي، بصوته المعتاد الذي يحمل مزيجًا من الجدية والمرح، و اقترح أن نخرج لممارسة الرياضة كالمعتاد. لم أرفض، فالحركة قد تكون أفضل وسيلة للخروج من دوامة الأفكار.

خرجنا نركض معًا، وكما يحدث دائمًا، لم يمر وقت طويل قبل أن نبدأ في التفلسف حول مواضيع شتى. نحن نادراً ما نتفق يكون أحدنا مؤيدًا والآخر معارضًا، وكأننا

نبحث عن التحدي في كل نقاش. نفكر في المشاريع، نحلم، ونخطط للمستقبل، وكأننا نمسك بالعالم بين أيدينا.

أيوب، الذي أصبح الآن أستاذًا، لم يتغير كثيرًا، لا يزال يحمل نفس الحماس، نفس القدرة على إثارة النقاش، ونفس الرغبة في تحدي أفكاري.

و أثناء ركضنا، مرت بجانبنا فتاة بملابس تكاد تكون عارية. التفتُّ إلى أيوب وقلتُ له ساخرًا: يبدو أن البعض لا يشعرون بالبرد، رغم أننا في الشتاء!

ابتسم وقال: وربما لا يشعرون بأي شيء على الإطلاق

وهكذا، وجدنا أنفسنا منجرفين في نقاش جديد.

عماد: أتعلم يا أيوب، كنت أفكر في دور الجنس في حياة الرجل، ليس فقط كغريزة، بل كدافع نفسي واجتماعي أيضًا أشعر أن الأنثى تلعب دورًا أساسيًا في تحفيز الرجل على العمل والإنجاز.

أيوب: صحيح، وهذا ليس أمرًا جديدًا. منذ القدم، كان الرجل يسعى لكسب قوت يومه و إثبات نفسه جزئيًا لكسب إعجاب المرأة. حتى اليوم، نرى رجالًا يسعون للنجاح في

حياتهم المهنية والاجتماعية بدافع إثبات الذات أمام الجنس الآخر.

عماد:وهذا يقودني إلى نقطة أخرى: هل تعتقد أن الغريزة تتطور؟ أقصد، في الماضي، كانت الغريزة الجنسية مرتبطة فقط بالتكاثر، لكن اليوم أصبح لها أبعاد نفسية واجتماعية أكثر تعقيدًا.

أيوب:بلا شك، الغريزة نفسها لم تتغير، لكن طرق التعبير عنها تغيرت. في المجتمعات الحديثة، لم يعد الجنس مجرد وسيلة للتكاثر، بل أصبح جزءًا من الهوية الشخصية والعلاقات العاطفية، وحتى وسيلة لتعزيز الثقة بالنفس والرجولة.

عماد:تمامًا، أعتقد أن الجنس، بطريقة غير مباشرة، يساهم في زيادة رجولة الرجل. ليس فقط من الناحية البيولوجية بسبب الهرمونات، بل أيضًا من الناحية النفسية. الشعور بالقدرة على جذب امرأة، أو أن تكون مرغوبًا فيه، يعزز ثقة الرجل في نفسه، ويدفعه لبذل مجهود أكبر في حياته.

أيوب: هذا صحيح، لكن هناك جانب آخر يجب مراعاته: بعض الرجال يفقدون التوازن إذا أصبح الجنس هاجسًا لهم. بدل أن يكون دافعًا، قد يتحول إلى مصدر للضغط والقلق، خاصة في المجتمعات التي تربط بين الرجولة والقدرة الجنسية بشكل مبالغ فيه.

عماد: أتفق معك، كل شيء يحتاج إلى توازن. الأهم أن يكون الجنس جزءًا من حياة الرجل بطريقة صحية، وليس مقياسًا وحيدًا لرجولته أو نجاحه. في النهاية، العلاقة بين الرجل والمرأة ليست فقط جسدية، بل أيضًا عاطفية وفكرية، وهذا ما يجعلها ذات معنى حقيقي.

ايوب: كلامك منطقي. ربما علينا التفكير في هذه المواضيع بعيدًا عن المفاهيم التقليدية، ونراها كجزء من تطور الإنسان نفسيًا واجتماعيًا، وليس مجرد غرائز بيولوجية ثابتة.

عماد:بالفعل، يبدو أن لدينا الكثيرلنفكرفيه حول هذا الموضوع

بدأ الإرهاق يتسلل إلينا، فقررنا القيام ببعض التمارين الخفيفة في الطبيعة بالقرب من المستشفى الكبير، على أمل استعادة بعض النشاط. لكن الحديث لم يتوقف، بل ازداد تشعبًا حتى وصلنا إلى دور الإنترنت في المغرب.

كان أيوب متحمسًا للموضوع، فبدأ يشرح ما درسه في مجال المعلوميات والشبكات والتطوير، متحدثًا عن أهمية الإنترنت والبنية التحتية الرقمية. وفجأة، ذكر أن جلالة الملك وضع استراتيجيات وخططًا منذ سنوات لتعميم الإنترنت في المغرب مستشهدًا بخطاب ملكي قديم أمام البرلمان يؤكد فيه أهمية التحول الرقمي باعتباره مستقبل البلاد

عند هذه النقطة، تذكرتُ ما درسته في القانون فاستعرضتُ لأيوب بعض المحطات التاريخية المهمة في مسار الرقمنة بالمغرب:

1999-2003: تمهيد الأرضية الأولى للتحول الرقمي.

2005-2010: ظهور مفهوم الفجوة الرقمية، مما دفع الدولة إلى التركيز على توسيع نطاق الوصول إلى التكنولوجيا.

2013: إدخال مفهوم الإدارة الإلكترونية، والبدء برقمنة بعض الخدمات الحكومية.

2020: إحداث أول وزارة رقمية متخصصة، مما عكس توجه الدولة نحو تسريع التحول الرقمي.

2030: الاستراتيجية الحالية التي تهدف إلى تعزيز الحكومة الإلكترونية، وتطوير الذكاء الاصطناعي، وتحقيق تحول رقمي شامل

واصلنا النقاش، حيث كان أيوب ينظر إلى الأمور من منظور تقني، بينما كنت أركز على الجوانب القانونية والسياسات الرقمية. كانت وجهات نظرنا مختلفة لكنها تكمل بعضها البعض، مما جعل النقاش أكثر إثارة، خاصة عندما تساءلنا: هل الرقمنة وحدها كافية لتحقيق التنمية، أم أن نجاحها يعتمد على كيفية استخدامها وتوجيهها قانونيًا واجتماعيًا

بينما كنا نتمشى في الطبيعة، متعبين لكن غارقين في الحديث، انتقل النقاش بيننا بسلاسة من موضوع إلى آخر، حتى توقفنا عند التجارة عبر الإنترنت. التفت إلي أيوب وسألني:

وما شروط هذا النوع من التجارة

ابتسمتُ وأجبته دون تردد، فأنا لم أبخل يومًا بمعلومة درستها، خاصة إن كانت تتعلق بالقانون والرقمنة. استحضرتُ موضوع العقد الإلكتروني، وبدأت أشرح له كما لو كنت أرسم صورة واضحة أمامه:

العقد الإلكتروني نوعان: كلي وجزئي. الفرق بينهما بسيط لكنه جوهري.

نظر إليّ باهتمام، فواصلتُ: التعامل الكلي يعني أن العملية تتم بالكامل عبر الإنترنت، من الدفع إلى الاستلام، دون أي تدخل مادي. تخيل مثلًا أناشتريت رواية رقمية، دفعت ثمنها ببطاقتك البنكية، ثم حملتها مباشرة على جهازك. هنا، كل شيء رقمي بحت

هز رأسه موافقًا، فتابعتُ: أما الجزئي، فهو عندما يدخل عنصر مادي في المعادلة. مثلًا، إذا طلبت كتابًا ورقيًا عبر موقع إلكتروني، دفعت إلكترونيًا، لكن استلمت الكتاب عبر خدمة التوصيل، فهذا عقد إلكتروني جزئي لأن جزءًا من العملية خرج عن النطاق الرقمي

أخذ لحظة لاستيعاب الفكرة، ثم قال مبتسمًا:

إذًا، ليس كل ما يتم عبر الإنترنت يُعتبر تعاملًا رقميًا بالكامل

بالضبط! قلتها بحماس، ثم أضفت: لكن انتبه! لا تخلط بين العقد الإلكتروني والعقد الذكي فالأخير يعتمد على تقنيات البلوكشين، ويُنفذ نفسه تلقائيًا دون الحاجة إلى تدخل بشري رأيت في عينيه شرارة الفضول، لكنه لم يقاطعني، فتابعتُ الحديث عن الالتزامات في العقود الإلكترونية، وقلت له بنبرة جادة:

في هذا النوع من العقود، هناك التزامات أساسية يجب احترامها. أولها، الالتزام بالإعلام، حيث يجب أن يكون المشتري على دراية بكل تفاصيل العقد قبل إتمامه. ثم

الالتزام بالتعاون، وهو ما يضمن تنفيذ العملية بسلاسة. وأخيرًا، الالتزام بالمحافظة على السرية خصوصًا في المعاملات التي تتضمن بيانات شخصية

توقفتُ قليلًا لأرى ردة فعله فوجدته غارقًا في التفكير. وقبل أن يعلق، ابتسمتُ وقلت له ممازحًا:

والآن، عندي لك مهمة: ابحث عن (الحق في النسيان الرقمي) قد تحتاجه يومًا ما

ضحك وقال: هل شيء آخر منك لن يفيد ؟

ليس تمامًا، لكنه شيء يستحق البحث قلتها و أنا ألوّح بيدي قبل أن نكمل طريقنا، مستمتعين بنقاش جديد يلوح في الأفق.

بدأ الجو يغيم، وقررنا العودة. في طريقنا، مررتُ على حانة الخمر، دخلتُ بسرعة، اشتريتُ قنينتي ثم تابعتُ السير نحو مقرّي حيث خبأتهما جيدًا حتى لا يجدها والدي قبل أن أستحم وأخرج.

في تلك الأثناء، أخبرتُ أيوب عن المقهى الذي سأجتمع فيه لاحقًا. سيكون لقاءً ممتعًا يجمعني ، والممرض عبد

العالي، الذي سيتولى رسم غلاف مشروعي الجديد، إضافة إلى بعض الأساتذة، عديل واسماعيل ويوسف كان أيوب يستمع باهتمام، ثم ودعني عند مفترق الطرق، بينما واصلتُ طريقي، أفكر فيما ينتظرني هذا المساء من فلسفة

استحممت في المنزل الجديد وتحدثت مع حبيبتي إيمي قليلًا عبر مكالمة للاطمئنان عليها. أخبرتها أنني سأذهب إلى المقهى، وسألتها إن كانت تود الخروج معي. لم تتردد كثيرًا وأخبرتني بأن آتي إليها. أدركت حينها أنني سأتأخر عن الخمر وعن أصدقائي، فحبها أسمى.

ارتديت ملابسي وأخبرت الجميع أنني سأتأخر ساعة أو أكثر. التقيت بها وجلسنا نتحدث عن أمور تخصها، وأحضرت لها بعض الأشياء، ممازحًا إياها، وقبلتها في النهاية.

حقًا، إيمي حبيبتي، أظن أنك حورعين نزلت إلى الأرض، أو أنك لست من طين مثل بقية النساء. أنتِ حرام، مثل من يغيب العقل لم أسكت حتى أفرغت ما في قلبي.

حتى أنني نسيت أن تفتش هاتفي، حمدًا لله! أعلم أنني لم أفعل شيئًا خاطئًا ولن أخونها أبدًا، لكن الشك يراودها دائمًا، وكأنها تضيفه إلى قائمة الأفكار المقلقة والمزعجة التي تروج لها الفتيات هذه الأيام.

أوصلتها إلى المنزل، ثم غادرت مسرعًا لأقبل زجاجتي، وكأنني كنت بحاجة إلى تلك اللحظة من الراحة قبل أن أذهب إلى المقهى. هناك، وجدتهم جميعًا يجلسون ويتحدثو عبد العالي، رفيق الفكر يوسف، أخ الفكر عديل، مكيافيلي المجموعة و أيوب، الفيلسوف. أما أنا، فكنت المستمع الذي يلتقط كل الأفكار، أو ربما كنا جميعًا ننسجم بطريقة ما، رغم اختلافاتنا

كان الحديث يدور حول القدر، وعلمت فورًا أن يوسف هو صاحب الفكرة، فقد كان دائمًا يكتب عن لحن القدر، بينما توقعت أن يكون عبد العالي هو من سيحولها إلى لوحة كعادته.سقيت خاطري وبدأت الحديث مباشرة مع يوسف، دون مقدما كنت سأعمل معه يومًا، لكن الفرصة لم تتح، فقد كان يتأخر دومًا، وكان طموحه أن يكتب بأسلوب

تشيخوف أو أحد الفلاسفة الجميع كان يعلم أن يوسف كان يحب ميري

دخلت وسألته: هل القدر جمعك بها، أم لا تزال تبتعد وتهرب منك؟

نظر إليَّ بابتسامة نصفية وقال:

أتعرف، يا عماد، دائمًا أقول إن الحب هو أقوى مشاعر الإنسان، شيء لا يمكن السيطرة عليه حين تحب، تشعر أن القدر هو من اختار لك هذا الشخص، كأنك وُلدت لتلتقيه

شعرت أن كلماته مثالية أكثر مما ينبغي، فقلت: جميل، يا يوسف، لكنه تبسيط شديد للأمور القدر قد يجمعنا بأشخاص، لكنه لا يحدد كيف نحبهم، ولا إن كنا سنبقى معهم أصلاً

رفع حاجبيه متسائلًا:

اذن، أنت ترى أن الحب ليس قدريًا؟ ماذا عن تلك الصدف الغريبة التي تجمع بين شخصين دون أي تخطيط؟ أليس هذا دليلًا على أن الحب قدري؟

أخذت رشفة من قهوتي وقلت بهدوء:

لا أنكر أن القدر يلعب دورًا في اللقاء الأول، لكنه لا يحسم النهاية استمرار الحب قرار، وليس مجرد صدفة القدر يفتح الأبواب، لكننا نحن من نقرر إن كنا سندخل أم لا

تنهد يوسف وقال:

لكن ماذا عن العقبات؟ المسافة، الظروف، وحتى الفقد؟ ألا تعتقد أن القدر يضع أمامنا اختبارات ليرى إن كان حبنا قويًا بما يكفي للصمود؟

ابتسمت وقلت:

تمامًا لكن التحديات ليست دائمًا اختبارًا للحب، أحيانًا تكون وسيلة لفهم أن هذا الحب لم يكن حقيقيًا ليس كل حب مقدّر له أن يدوم، فبعض العلاقات مجرد دروس، وليست نهايات مكتوبة

نظر إليَّ بتفكير وقال:

إذن، ترى أن الحب قد يكون مجرد رسالة أو اختبار لكن ألا يجعل هذا الحب يبدو وكأنه شيء مؤقت؟ أليس الحب شعورًا أبديًا؟

هززت رأسي وقلت:

الحب الأبدي ليس مرتبطًا بشخص واحد دائمًا قد يكون رحلة نبحث فيها عن نصفنا الآخر أفلاطون قال إن الحب هو البحث عن نصف الروح المفقود، والقدر قد يرشدنا إليه، لكن النجاح يعتمد على وعينا واختياراتنا

ضحك يوسف وقال:

كلامك فلسفي أكثر مما ينبغي، يا عماد بالنسبة لي، الحب هو ما يمنح الحياة معناها، بغض النظر عن قراراتنا

ابتسمت وقلت:

الحب يعطي معنى للحياة، نعم، لكن هل هذا المعنى حقيقي أم مجرد وهم؟ هل نعيش الحب فعلًا أم نحلم به؟ الحب، يا يوسف، مثل الحياة مليء بالتناقضات والسؤال الأهم: هل نحياه أم نطارده؟

تأمل كلماتي للحظة، ثم قال:

أعتقد أنني أحياه، و أنت تحلله حتى يذوب في الفلسفة! لكن بصراحة، جعلتني أفكر ربما القدر يجمع بيننا وبين من نحب، لكننا نحن من نقرر كيف نتعامل مع هذا اللقاء

قلت بابتسامة:

بالضبط، يا يوسف الحب قد يكون قدرًا، لكن الاستمرار فيه اختيار

تدخل عبد العلي سائل عن الفقر

أتعرف، يدكتور كلما تأملت في مسألة الفقر، وجدتُ نفسي أسأل: هل هو قدر محتوم على الإنسان، أم أن هناك أسبابًا أخرى تحدد مصيره؟

نظر إليّ يوسف و ابتسم بهدوء، ثم قال بثقة:

الفقر ليس مجرد صدفة، عماد نحن نؤمن أن كل شيء مقدر، حتى الفقر الله يبتلي بعض الناس ليختبرهم، ويمنحهم فرصًا لصبرهم و إيمانهم

أخذتُ نفسًا عميقًا من قرورتي ، ثم أخرجتُ ابتسامة ببطء قبل أن أجيب:

لكن هل الفقر مجرد ابتلاء فقط؟ من منظور فلسفي، أراه أكثر تعقيدًا هناك عوامل اجتماعية و اقتصادية تلعب دورًا كبيرًا مثلًا، لو وُلدتَ في بيئة فقيرة، ففرصك ستكون

أقل من شخص وُلد في عائلة ثرية هل هذا قدَر؟ أم أن المجتمع هو من صنع هذا التفاوت؟

هزّ يوسف رأسه مو افقًا، لكنه قال بثبات:

أتفهم ما تعنيه، لكن في النهاية، الفقر اختبار من الله قد يكون هناك ظلم في الأنظمة، لكن الله أعلم بحكمة الابتلاء ربما يكون الفقر وسيلة لرفع درجات الإنسان في الآخرة

قبل أن أجيب، شعرتُ بيد توضع على كتفي، استدرتُ لأجد أيوب و اقفًا خلفي، يحمل كوب قهوته وهو يستمع للحوار باهتمام جلس بجانبي بعد أن أخذ رشفة من قهوته وقال بفضول:

إذن، حسب رأيكما، الفقر قدر لا مفر منه؟ لكن ماذا عن الأنظمة التي تخلق هذا الفقر؟ أليس الظلم الاجتماعي والاقتصادي هو السبب الحقيقي؟ أم أن علينا فقط أن نصبر دون محاولة التغيير؟

نظرتُ إلى يوسف، ثم إلى أيوب، قبل أن أقول بجدية:

هذا ما كنتُ أقوله، أيوب الرأسمالية المتوحشة تزيد الفجوة بين الأغنياء والفقراء هل يمكن اعتبارهذا قدرًا؟ أم أن البشرهم من صنعوا هذا الو اقع؟

تنهد يوسف وأجاب بنبرة هادئة، لكن فيها جدية:

لا أنكرأن هناك ظلمًا في النظام الرأسمالي، لكنه ليس السبب الوحيد للفقرهناك من يولد فقيرًا لكنه يتمكن من تحسين وضعه إذن، الأمر ليس مجرد قَدَر، لكنه أيضًا مسؤولية فردية

قبل أن يضيف أيوب تعليقًا، اقترب عديل من الطاولة كان يستمع من بعيد، والآن وجد الفرصة ليشارك في النقاش سحب كرسيًا وجلس بجانب يوسف، ثم قال بلهجة هادئة:

ألا ترون أن القدر ليس فقط في النتيجة، بل في الخيارات المتاحة أمامنا؟ شخص وُلد في بيئة غنية يملك خيارات أوسع، بينما الفقير يملك خيارات محدودة الفقر ليس مجرد اختبار، بل هو نتيجة لنظام غيرعادل القدرقد

يحدد ظروف البداية، لكن القرارات والمجتمع يحددان المصير

أيوب، الذي كان يبدو أكثر اندفاعًا في حديثه، رفع كوبه قليلًا قبل أن يضعه على الطاولة بقوة خفيفة، ثم قال:

هذا هو الأمر تمامًا نحن لا نختار أين نولد، لكننا نستطيع أن نغير مصيرنا المشكلة أن بعض الناس يقبلون بالفقر وكأنه شيء لا يمكن تغييره، فقط لأنهم يعتبرونه قدرًا

ساد صمت للحظة، ثم قال يوسف بصوت منخفض وكأنه يحدث نفسه:

لكن الإيمان بالقدر يعطينا الصبر لا يمكننا تغيير العالم بين ليلة وضحاها، لكن يمكننا تغيير أنفسنا

ابتسمتُ قليلًا وأنا أنظر إلى كوب قهوتي، ثم قلتُ بتأمل:

ربما يكون الحل في التوازن نؤمن بالقدر، لكننا نعمل على تغييره الفقر ليس مجرد امتحان، بل قضية يجب أن نسعى لحلها

عدل نظر إليّ ثم قال بحكمة:

بالضبط الإيمان بالقدر لا يعني الاستسلام، بل يعني السعي لتغيير الواقع مع الحفاظ على الصبر وهكذا، يكون لكل شيء معنى أكبر

نظرنا جميعًا إلى بعضنا، وكأننا نحاول استيعاب ثقل الحديث لم يكن هناك فائز في هذا النقاش، لكن على الأقل، كان كل منا يرى الأمور من زاوية مختلفة تابعنا احتساء قهوتنا بصمت، فيما كان المقهى يضج بأحاديث أخرى أقل تعقيدًا

تدخل عبد العالي بغباء وسأل وميري يايوسف

يوسف اللطيف البشوش على نيته بدأ بالحديث يوسف وميري وهدى: لعبة القدر المعقدة

في أعماق جروحي، كان هناك سر خفي، سر لم أكشف عنه حتى لنفسي كنت أحب هدى هذا صحيح، لكن هل كان هذا الحب حقيقيا أم أنه كان مجرد هروب من ألم آخر؟

قبل هدى، كانت هناك ميري فتاة كانت تشغل تفكيري لسنوات، فتاة اعتقد أنها حب حياتي كانت ميري رمزا للجمال والذكاء، وكانت تمتلك كل الصفات التي كنت أتمنى

أن أجدها في شريكة حياتي إلا أن العلاقة بيني وبينها لم تكتمل، و انتهت بمرارة

عندما ظهرت هدى في حياتي، وجدت فيها ملاذا آمنا كانت هدى كل ما أفتقده في ميري: كانت رقيقة، متفهمة، وحنونة أعتقد أن حبي لهدى هو حبي الحقيقي، وأن ميري كانت مجرد ذكرى باهتة

ولكن بعد أن خذلتني هدى، بدأت أشعر بشعور غريب بدأت أتذكر ميري أكثر فأكثر، بدأت أتذكر كل لحظة معها، وكل كلمة قالتها لي بدأت أشك في أن حبي لهدى لم يكن سوى محاولة للهروب من ألم الفراق عن ميري

بدأت أسأل نفسي: هل كنت أحب هدى حقا؟ أم أنه كنت أحب فكرة أن أكون محبوبا؟ هل كنت أبحث عن بديل لميري؟ أم أنه كنت أحاول أن أثبت لنفسي أنه أستطيع أن أحب مرة أخرى؟

كلما حاولت أن أجيب على هذه الأسئلة، كلما غرقت في دوامة من الشكوك والتساؤلات بدأت أدرك أن العلاقة بيني

وبين هدى كانت معقدة للغاية، وأن هناك الكثير من الأمور التي لم أفهمها

في النهاية، وصلت إلى إدراك مؤلم: كنت أحب ميري أكثر مما أحب هدى كانت ميري هي حبي الأول والأخير، وكانت هي التي ستظل في قلبي إلى الأبد

ضننت أن رائحة الخمر فعلت ليوسف شيء أخبرتهم بدالك وبدأ الجميع بضحك

أخبرنا يوسف أنه سيكتب شيء جميلاً في عمله حول القدر وحول ميري

كانت الجلسة قد انقسمت إلى عوالم مختلفة، كل واحد منا مستغرق في عالمه الخاص، لكنه لا يزال حاضرًا في هذا المشهد المشترك عبد العالي كان يغرق أكثر في لوحاته الرقمية، عازفًا عن الحديث، كأنما يجد في الرسم ملاذًا من ضجيج الكلمات يوسف كان يتنقل بين لحظات الحنين ورغبته في تسجيل حضوره الافتراضي، بينما أيوب كان محاصرًا بين شاشة هاتفه ورسائل حبيبته التي لم يكن يريد أن يفوّت أي منها أما عديل، فكان وجهه يحمل ملامح

الانشغال الدائم، عقلُه موزّع بين تفاصيل المركز والتلاميذ والفوضى التي لا تنتهي

تبادلنا الحديث حول ضرورة ضبط استعمال الزمن في المركز، عن ضرورة إعادة تنظيم الدروس بشكل أكثر انسيابية كنت أستمع لعديل وهو يتحدث عن الحلول، عن الحاجة إلى خطة واضحة، بينما عقلي كان يدور في دائرة أخرى، يفكر في مدى تعقيد الأمور، في الأساتذة الذين بالكاد يتعاونون، في الإدارة التي تحتاج إلى ضبط أكثر

قلت له بنبرة متأملة:

نعرف المشكلة جيدًا، لكن الحل ليس بهذه البساطة الأساتذة لديهم جداولهم الخاصة، والتلاميذ ليسوا دائمًا ملتزمين

نظر إليّ عديل بثقة وقال:

لهذا بالضبط نحتاج إلى خطة واضحة وإلزامية الفوضى لن تحل نفسها

أومأت موافقًا، لكنني كنت أعرف أن الأمر لن يكون بهذه السهولة

يوسف، الذي كان حتى تلك اللحظة منشغلًا بصوره، قررفجأة أن يقتحم النقاش وقال وهو يضع هاتفه جانبًا:

كل شيء يحتاج إلى نظام، حتى الفوضى نفسها لديها قواعد خفية تحكمها

ابتسمتُ وقلت:

جميل، لكننا بحاجة إلى أكثرمن فلسفة هنا، نحتاج إلى خطوات عملية

ضحك يوسف وقال:

أعرف، أعرف لكنني فقط أحب أن أذكّركم أن كل شيء في الحياة يخضع لنوع من التوازن، حتى لولم يكن ظاهرًا

في تلك اللحظة، رفع عبد العالي رأسه أخيرًا عن شاشته، نظر إلينا نظرة سريعة ثم قال ببرود وهو يعود إلى رسمه:

الفوضى جميلة أحيانًا تعطي للحياة طابعًا خاصًا

ضحكنا جميعًا، كأننا جميعًا أدركنا أن لا شيء في هذا النقاش سيصل إلى نتيجة قاطعة، لكن على الأقل، كنا

نتحاور، وكان ذلك كافيًا ليشعر كل واحد منا أن وجوده في هذه الجلسة له معنى

يوم جديد، والجو ممطر أنا، الأوراق، والقارورة، أعيش في عالمٍ بين الأبيض والأسود أنتظر أن يصل الوقت الذهبي إلى التلاميذ، ثم أتوجه إلى المقهى **وصلت إلى المركز مبكرًا، فوجدت عبد العالي صديقي واستاد الفرنسية الدي كان طالبًا مميزًا، جادًا في عمله، طيب القلب، ويحب ما يقوم به كان يصل الأفكار بشكلٍ دقيق، ويعمل بحب و إتقان تحدثنا قليلًا عن العمل، وشؤون التلاميذ، وبعض الحلول الممكنة ثم أخبرني عبد العالي عن كيفية اجتيازي لمباراة شريكة التي ستُعقد خلال الأيام القادمة ابتسمت، وقلت له: لا تذكرني بذلك ومع ذلك، بدأت أحكي له عن تجربتي دون أن أشعر بذلك، وكأن الكلمات تتدفق تلقائيًا**

عبد العالي، دعني أخبرك بما حدث لي مؤخرًا، وكأننا جالسان معًا، كعادتنا، نتحدث عن الحياة وتقلباتها

بدر هو من شجعني على التقدم لاختبار وظيفة في إحدى الشركات بعد اجتيازي لمقابلة أولية، تلقيت اتصالًا من أحد

المسؤولين هناك، قال لي بلهجة رسمية: يجب أن تكون في الدار البيضاء يوم الاثنين لإجراء الاختبار النهائي

أخبرته أنني في خنيفرة، واليوم الخميس، وطلبت منه بعض الوقت لأدبر المال وأجهز نفسي و افق، لكنه شدد على ضرورة تواجدي في الموعد المحدد، ثم أنهى الاتصال ببرود

قضيت ليلة الأحد في تجهيز كل شيء، ثم خرجت إلى محطة الحافلات عند الثانية صباحًا، كي أصل إلى الدار البيضاء في السابعة وعندما وصلت، عبد العالي، شعرت أنني في عالم آخر المباني شاهقة، الشوارع تعج بالحياة، كل شيء يتحرك بسرعة وكأن الزمن هنا يركض بدل أن يمشي رغم ذلك، اكتشفت أن للمدينة وجهًا آخر، بسيطًا وجميلًا بطريقته الخاصة

بعد معاناة في البحث، وجدت الشركة كانت منظمة بطريقة مبهرة، والموظفون يعملون بإيقاع سريع، يتحدثون خليطًا من العربية والفرنسية، يحملون الحواسيب، يجرون الاتصالات، وكأنهم في سباق دائم

دخلت إلى مكتب الاستقبال، حيث وجدت ثلاثة مرشحين آخرين جلسنا ننتظر دورنا، حتى جاءت ياسمين، المسؤولة عن التوظيف، وسألت عن سيرتنا الذاتية شعرت ببعض التوتر، لكنني سرعان ما تمالكت نفسي تحدثت بالعربية، بينما اختار زملائي التحدث بالإنجليزية والفرنسية، ربما لاعتقادهم أن ذلك سيمنحهم قيمة إضافية، لكنني لاحظت بعض الأخطاء في كلامهم

اجتزت الاختبار الشفوي، ثم انتقلنا إلى اختبار القيادة كنت الوحيد بينهم الذي يجيد القيادة، بينما كاد أحد المرشحين أن يتسبب في حادث، مما أغضب المشرف كنت متأكدًا من نجاحي، حتى أنني اتصلت بعائلتي وأخبرتهم أن يستعدوا لإرسال بعض الملابس، لأن عملي سيكون في نواحي فاس، تحديدًا في تاونات

لكن فجأة، عبد العالي، تغير كل شيء ،عندما كنا نستعد لاستلام عقود العمل، تلقى المسؤول اتصالًا من المدير، وفجأة قال لنا:

– آسف، لم يتم اختياركم

لم أفهم السبب، لكنني رأيت أحد المرشحين يبكي اقتربت منه، فتمتم بصوت مختنق:

– أنا تجاوزت الثلاثين، ولن أجد فرصة أخرى

وضعت يدي على كتفه وقلت له:

– النبي لم تأته النبوة إلا في الأربعين، لا تفقد الأمل، الرزق بيد الله

هز رأسه بصمت، وكأنه يحاول أن يتمسك بالأمل أما أنا، فاتصلت بأهلي وأخبرتهم ألا يرسلوا شيئًا، ثم قررت التوجه إلى مكناس لشراء بعض الكتب كنت متعبًا، محبطًا، ولو لم يكن رمضان، لكنت ذهبت إلى إحدى الحانات لأشرب كأسًا أنسى به هذه الخيبة وإلى فاس، حيث الذكريات

من مكناس، توجهت إلى فاس. في المحطة، التقيت بأستاذي المبرز، الرجل الطيب ذو الابتسامة الكبيرة. أصرّ أن أفطر معه، لكنني شكرته وأخبرته أن أيوب ينتظرني

وصلت إلى منزل أيوب في حي باب الغول، الحي الذي يضج بالطلاب والجنود استقللت سيارة أجرة، لكن السائق

احتال عليّ في الأجرة، طلب 20 درهمًا بينما لم يكن السعر الحقيقي يتجاوز 8 دراهم لم يكن لدي طاقة للنقاش، فدفعت له وذهبت عند وصولي، استقبلني أيوب بحفاوة، وجهّز لي فطورًا شهيًا كان يسكن معه شاب من وجدة، أخبرني أن أصوله جزائرية ضحكنا كثيرًا،

بقيت في فاس ثلاثة أيام، عبد العالي، زرت خلالها جامعة ظهر المهراز، ومشيت في شوارعها التي تحمل في طياتها الكثير من الذكريات هنا التقينا كرفاق، تناقشنا، ضحكنا، خضنا مواقف لا تُنسى

فاس ليست مجرد مدينة، بل هي ذاكرة ممتدة، روح التاريخ وعبق الماضي أزقتها الضيقة، مساجدها العريقة، أسواقها التي لا تهدأ، كلها تشكل لوحة من الحضارة والجمال

أتدري، عبد العالي؟ 2022 كانت سنة مليئة بالذكريات، واليوم، و أنا ألتقط صورًا جديدة هنا، أشعروكأن الزمن لم يتحرك الذاكرة ما زالت تحفظ كل شيء

وها أنا في خنيفرة، في منزلنا القديم، ذاك البيت الذي اشتراه منا أمّ الشرطي، عزيزة على القلب والتي اسمها مثل امي رابحة ، رحمها الله وأوسع قبرها أخذتُ المفاتيح من أبي، الذي أوكله الشرطي بمراقبة الأغراض والاعتناء ببعض الأمور المتعلقة بالماء والكهرباء أما منزلنا الجديد، فهو لا يزال في طور الإصلاح، فيما استأجر أبي وأمي بيتًا صغيرًا ليضعا فيه أمتعتهما، في انتظار اكتمال الأشغال

الآن، أقف بين هذه الجدران العتيقة، أنتظر رزقًا بعد أن سعيتُ خلف ألف رزق أفكر في كل ما ينتظرني: مباراة الشرطة في القنيطرة، ومباراة الجمارك في مراكش، امتحانات الفصل الذي غبت عنه، والمركز الذي أعمل فيه لأحصل على مبلغ بالكاد يكفيني للوصول إلى الجامعة البعيدة

أفعل كل شيء، لكن لا شيء يفعل شيئًا من أجلي كأنني أتحرك في دوامة لا تقودني إلا لمزيد من الانتظار كل ما أبحث عنه الآن هو الاستقرار، مجرّد مساحة ثابتة وسط هذا الطوفان من المسؤوليات والأحلام المؤجلة

كل هذه الأفكار تطاردني فقط حين يكون رأسي صافيًا حين لا يكون الخمر بجانبي ليبدد هذه المتاهة، وحينها، يصبح التخطيط أكثر صعوبة، كأنني أرى الحقيقة بوضوح يثقل كاهلي بدل أن يحررني

حملت الهاتف بين يدي، أبحث عن شيء أي شيء يشغلني قليلًا عن هذا الصخب الداخلي كنت أتصفح المنشورات بلا اكتراث،حتى ظهرت أمامي صورة الوشق لحظتها، تذكرت كلمات عالم العلماء والتى قلتها مفسر بطريقتي الكل عدو للكل، ومن لم يجد له عدوًا، صار عدو نفسه ضحكت بسخرية مريرة، فقد فهمت الآن عمق هذه الجملة نحن لسنا سوى حيوانات تحمل اسم البشر، وما نسميه الإنسانية ليس سوى درجة من الرقي، قد نبلغها وقد نظل عالقين في وحشيتنا دعوت كما يدعو الإمام منذ 1948، بصوت ممتلئ بالرجاء، لكننا الآن في جيل جديد ، والوشق أيضًا سيموت أليس هذا دليلًا آخر على أننا بؤساء، نردد الدعوات ذاتها، ونشهد انقراض الكائنات من حولنا، بينما نحن نعيش وهم التغيير،

في تلك اللحظة، وصلتني رسالة طويلة، لكنني قررت تأجيل الرد فتحت التطبيق الآخر، وكتبت لحبيبتي أولًا: اشتقتُ إليكِ شعرت أن هذه الكلمات وحدها تملك القدرة على اختراق الوقت والضجيج، ثم انتقلت إلى عشرات الرسائل الأخرى التي تكدست بانتظاري. أغلبها كان عن حل التمارين، وبعضها طلبات استشارة اعتدت أن تبتلي بها، أسئلة حول الطلاق، الإرث، والأسر المفككة، وكأنني صرت ملاذًا لمن يبحث عن إجابة لحياته المعطوبة

لكن أول رسالة وصلتني، كانت من فتاة، تلميذة العام الماضي ترى، ماذا أرادت أن تخبرني كتبت لي :

(أستاذي، كيف الاحوال عندك المهم ، الموضوع هوا كتالي هذه الأيام، وبالضبط منذ حوالي خمسة أيام ، و أنا أعيش كوابيس كثيرة ، البارحة فقط حلمتُ بقطة متوسطة الحجم لم تكن تسمح لي بالمرور، وكانت تخمشني بدأت أتشاجر معها لفترة طويلة حتى قطعتُ رأسها، وخرج منها دم أسود بعد كل ذلك، اختفت القطة، وتحلَّت لي الطريق عندما استيقظت، وجدتُ جسدي كله متعرقًا، والعرق يتساقط مني ، تكررت معي أحلام أخرى، حيث

حلمتُ ثلاث مرات بسقوط أربعة من أسناني، وفي إحدى المرات، رأت أمي امرأة جاءت إليها وأخبرتها بأن أسنان بناتها ستبدأ في السقوط من سن 19 إلى 25 ومنذ ذلك اليوم، بدأت تتراكم عليّ الأمراض بشكل مخيف ، خلال هذه الأيام أيضًا، حلمتُ وكأنني تائهة، وكان هناك أشخاص لا أعرف وجوههم، وفي يدي خاتم كبير أحمر بقيت معهم لمدة، وعندما أردت العودة إلى منزلنا، حاولت نزع الخاتم، لكنه لم يُرد أن ينزع بسهولة، فبذلت جهدًا كبيرًا لنزعه عندما استيقظتُ، وجدت إصبعي منتفخًا وأحمر، تمامًا كما كان في الحلم هذا مجرد جزء من الكثير مما يحدث لي كما أن هناك امرأتين من العائلة، قريبتان مني، تظهران لي دائمًا وتعطيانني طعامًا ، من فضلك هل من الممكن أن تسأل فقيها؟)

حينها تذكّرت قصة التى حدثت معي في ليلة التى أخبرت بها يوسف وكلمات المغني الأمازيغي أحوزار حين قال بلغته:

كنت مريضًا، فأخذوني إلى الطبيب، فأخبرني أنني مصاب بالأعصاب، ثم أخذوني إلى الفقيه، فقال إنني

مسكون بالجن، لكنهم لم يدركوا أن علّتي الحقيقية هي الاشتياق

يا لها من كلمات صادقة، تنفذ إلى جوهر الألم الإنساني، حيث يبحث الجميع عن تفسير مادي أو غيبي لمعاناتك، بينما الحقيقة تكمن في شيء أبسط وأشد عمقًا: الحنين

ابتسمتُ وأنا أجيب الفتاة، وكتبت لها:نعم، سأستفسر عن أمرك العظيم هذا خيرًا إن شاء الله

بعد الإفطار، اتصلتُ بـ عبد العالي ويوسف واتفقنا على أن نلتقي في المقهى بعد صلاة التراويح كان الجو هادئًا في الشارع، لكنه صاخبٌ في رأسي، حيث لا تزال أفكار التلميذة تشغلني

وها نحن الآن نجلس حول طاولة صغيرة، نرتشف قهوتنا بينما ندخل في نقاش طويل حول ما حدث أخبرتهما عن النازلة وسألتُ عن تفسيرهما لما تعانيه الفتاة

عبد العالي بطريقته العلمية، قال إن الأمر قد يكون خللًا في المعدة، ربما نتيجة اضطراب في الهضم أو توقفها

عن تناول دواء معين أما يوسف فذهب إلى تفسير مختلف تمامًا، مؤكدًا أنها قد تكون مسحورة ، وأن أحدهم أعطاها سحرًا موكولًا

استمعتُ إليهما بصمت، بينما كنت أنظر إلى وجهيهما و أتأمل الفارق بين رؤيتيهما ثم

يوسف: تبدو شارد الذهن، ماذا يشغلك هذه الليلة؟

أنا:وصلتني رسالة غريبة من فتاة أعرفها، تحكي عن كو ابيس متكررة تلاحقها منذ أيام، وأشياء أخرى مقلقة

عبد العالي: كو ابيس؟ وما طبيعتها؟

أنا: تحلم دومًا بأشياء مخيفة، البارحة مثلاً، رأت قطة متوسطة الحجم تمنعها من المرور وتهاجمها، تشبثت بها حتى اضطرت إلى قطع رأسها، لكن بدل الدم الأحمر، خرج منها دم أسود بعدها، انفتح الطريق أمامها، لكنها استيقظت وهي غارقة في العرق

يوسف:هذا غريبوهل تكرر الأمر معها

أنا:أكثر من مرة تحلم أيضًا بأن أسنانها تتساقط، ومرةً زارت امرأة والدتها وقالت لها: بناتك سيفقدن أسنانهن بين

سنّ 19 و25ومنذ ذلك اليوم، بدأت تعاني من مشاكل صحية خطيرة

عبد العالي:سقوط الأسنان في الأحلام مرتبط بالقلق والخوف من الفقدان، قد يكون عقلها الباطن يعكس مخاوفها بطريقة رمزية

يوسف:لا أرى الأمر بهذه البساطة هذا قد يكون سحرًا مأكولًا أو مشروبًا خصوصًا إذا كانت تشعر بأعراض جسدية غريبة بعد هذه الأحلام ثم، هناك شخصان من عائلتها يقدمان لها الطعام في المنام؟ هذا يثير الشكوك

أنا:(مبتسمًا بسخرية) أنتم تذهبان بعيدًا في التفسير ربما الأمر لا يتعدى اضطرابات نفسية أو تأثيرًا جسديًا حين يمتلئ المعدة، ويشعر الإنسان بالبرد، يرى كوابيس مرعبة ليست كل الأحلام رسائل خفية، أحيانًا، هي مجرد رد فعل جسدي أو نفسي

عبد العالي: ربما، لكن لا ضرر في البحث عن الأسباب من جميع الزوايا، سواء كانت نفسية، جسدية، أو حتى روحية

يوسف: أتفق، المهم ألا نغفل أي احتمال لكن، ماذا تنوي أن تخبرها؟

أنا: سأطلب منها أن تهتم بصحتها، وترى طبيبًا إن استدعى الأمر أما من الناحية الروحية، فلتقرأ الأذكار وتر اقب نفسها، هل تتحسن أم تسوء؟ حينها، ستعرف أي طريق عليها أن تسلك

اشتقتُ للخمر كما يشتاق العطش للسراب،وكما يحنُّ الليل إلى ندمائه الساهرين لم أصبر حتى وجدتُ نفسي أبحث عنه في الأزقة التي تعرف وجوه الراغبين في النسيان دفعتُ الثمن مضاعفًا، وحين قبضتُ على الزجاجة بيدي، أدركتُ أن ليس كل ما هو محرَّم بخيس، بل إن بعض النيران يُتاجر بها ليقودوك إليها، لا ليحذِّروك منها

قبلتُها بشوق العاشق المحروم، وحين سرت في دمي، لم تسكرني بقدر ما أطلقتُ سراح أفكاري من أقفاصها أصبحتُ أرى الزمن وهو يتفكك أمامي، لم يعد خطًّا مستقيمًا، بل دائرة يدور فيها الإنسان متوهِّمًا أنه يتقدَّم أدركتُ أن المبادئ ليست حقائق أزلية، بل هي أشياء نكتسبها كما نكتسب العادات، وأن العاطفة نفسها قد تكون مبدأ، تمامًا كما يكون الجفاء مبدأً لمن اعتاده

هناك، بين نشوة الخمر وحقيقة الوعي، تساءلتُ: هل نحن من نصنع أفكارنا، أم أنها تُصنع لنا؟ وهل الإنسان يختار مبادئه، أم أن الزمن يفرضها عليه؟ في لحظة الصدق تلك، لم أجد إجابة، لكنني أدركتُ شيئًا واحدً ، أن الحياة

ليست كما تبدو في يقظتنا، ولا كما نراها في سكرنا، بل هي مزيج من الحالتين، ومأساتنا أننا نحاول أن نفصل بينهما

دعوني أخبركم، يا من بعثرتم المبادئ كما تُبعثر الريح أوراق الخريف، يا من جعلتم الأصل شبحًا يطوف بيننا، بلا ملامح ولا صوت صرتم تخبروننا بأشياء تُقشعِر لها الروح قبل الجسد، حتى أن ألسنتكم أضحت أشدَّ صخبًا من آذاننا، و أقسى من وقع الأحجار على الزجاج نعم، نعلم كل تلك الكلمات التي تكررونها، الجنس، السب، الانحلال وما الجديد؟ فقد سبقتكم كتب الماضي، وحتى في المقدس نُقل عن ألسنة بعض البشر كلامٌ أقسى مما تنطقون به الآن

لكن الفرق أني كنتُ مثلكم، كنتُ مكسورًا ولم أكن أدري وحين أدركتُ أني مُسيَّر، أصلحتُ نفسي لا لأهرب، بل لأبحث عن المعنى وسط هذا الركام حتى و أنا مخمور، لا زلتُ أحتفظ ببعض الأمل، ببعض من ذاك الحبل الرفيع الذي يصلني بالضوء، وإن كان ضوءًا خافتًا في آخر النفق

أنتم أبنائي، وأخشى أن أكون يومًا أبًا لفتاة ترتدي لباس الجنس أكثر مما ترتدي الحياء، أو لشاب يحمل سيفًا،

لا ليرفعه دفاعًا عن الشرف، بل ليطعن به ما تبقى من الرجولة في زمن صار فيه الرجال ظلاً هاربًا من الشمس

لكنني أرفض أن أكون مجرد لعنة تتكرر سأحاول، حتى وإن سقطت، حتى وإن شربت الخمر كي أنسى، وحتى إن ضاعت الطريق أكثر من مرة... سأحاول لأن الخراب ليس قدرًا، ولأن الإنسان، رغم كل شيء، لا يموت إلا حين يتوقف عن المحاولة

حين تُشوَّه المبادئ، يصبح الضوء ذاته موضع شك تتداخل الحقائق بالأكاذيب، فلا يعود للوضوح سلطان، ولا للحقيقة يقين يصبح العدل قناعًا يرتديه الظالم، والحرية سرابًا يطارده المستعبد، فيما يُساق الوعي إلى مذبح التضليل، مكبَّلًا بوهم اليقين الزائف

هناك، في الزوايا المنسية من الفكر، تتكئ الحقيقة متعبة، تهمس لمن لا يزال في روحه يقظة: لا شيء أكثر خطرًا على الإنسان من أن يُخدع باسم القيم، ولا شيء أكثر بؤسًا من مجتمع يصفق للقيود معتقدًا أنها أجنحة

بدون شعور، وجدتُ نفسي أرد على كل من أرسل لي عن الطلاق دخلتُ في دوامة الكلمات، كأنني أبحث عن يقين وسط ضباب كثيف أخبرتُ المرأة: عيب أن تطلبي مالًا على الجنس، وحرام أن يكون الطلاق مجرد معاملة حسابية ليست كل القواعد حقيقة، فبعضها كُتب في زوايا المصالح، وليس كل الفصول جاءت من كلام الملائكة

أخبرتُ الرجل: عيب أن يغيب الصبر عند أول خلاف، أن تتلاشى المسؤولية كما يتلاشى أثر النبيذ في فجر نادم أما أنتن، أيتها الطفلات، فصبرًا على الغباء، فالعالم مزدحم به وإن عاش والداكِ ليلة ليُنجبا لكِ أخًا، فلماذا صار الفراق هو المصير؟

ثم، بين كأس وآخر، تذكرتُ تلك الفتاة التي تحلم بالرعب، فأرسلتُ لها رسالة: يا فتاة، إن يوسف عليه السلام تحقق حلمه بعد سنين، وكان حلمه من الله، فلماذا لا ترقين نفسكِ؟ استيقظي من حلم الفزع وعيشي الحياة صلاةً، علمًا، حبًا واعلمي أن الفراق لا مفر منه، لكنه ليس نهاية، بل بداية أخرى نجهلها

وفي النهاية، أجبتُ على التمرين الدي كان متعلق بقانون اوم وأخبرته تلاميدي بمقولة جميلة ترسخ درس في عقولهم كلما اشتدت المقاومة، ازداد التوتر، لكن في هذا الصراع تولد القوة التي تصوغ جوهر الوجود

تذكرة حبيبتي اتصلت : كلماتكِ ليست مجرد حروف، بل نغمات تتر اقص بين سكوني، ونبرات صوتكِ لحنٌ يبعث الحياة في صمت الأيام كلما ناديتِني، شعرتُ أن العالم يهدأ، أن الفوضى تتلاشى، و أنني أقترب أكثر من ذلك الصفاء الذي لم أره إلا في عينيكِ

دار بيني وبينكِ حديثٌ لا يشبه الأحاديث، كنتِ تنظرين إليّ كمن يحاول فك شفرة غامضة، كمن يظن أنه يعرفني، لكنه يتوه عند أول كلمة قلتِ لي:

أشعر وكأن المسك يحيط بك، كأنك تتعطر به كلما هممتَ بالكلام

ضحكتُ، ثم نظرتُ بعيدًا، إلى كأس لم ينتهِ بعد، وقلتُ بصوت هادئ:

لا تظني أن المسك عطري ما يحيط بي ليس سوى أوهامكِ إن كنتِ تريدين رائحة الحقيقة، فهي ليست المسك، بل عطرٌ يطهر الجروح، لكنه لا يأتي من الزهور بل من الكحول

صمتِّ قليلًا، ثم اقتربتِ كأنكِ تبحثين عن شيء لم تقولي بعد، وهمستِ:

إذن أنت تتعطر بما يداوي الألم

ابتسمتُ وأجبتُكِ

بل أتعطر بما يجعل الألم يحتمل لم تكن ايمي تعلم اني اشرب الكحول

إيمي جميلتي، كيف يمكن لصوتكِ أن يكون بهذا الدفء، وكأن الحروف حين تخرج منكِ، لا تخرج من فمكِ فقط، بل من أعماق روحكِ؟ كيف يمكن لنظرتكِ أن تحكي أشياءً لم يقلها أحد، أن تمسح عن قلبي غبار الأيام بمجرد لقاء عابر؟

أنتِ لستِ مجرد اسم، لستِ مجرد امرأة أنتِ النغمة التي تجعل لحياتي إيقاعًا، وأنتِ السكون الذي يجعل ضجيجي يحتمل وانت خمري وحياتي

أخبرتها باشياء أخرى اجمل من هذا وقبلتها وهما وقطعت الاتصال

وبدأت أخون حبيبتي ، لكن ليس مع امرأة أخرى، بل مع كيان لا جسد له، مع أعجوبة العصر تلك التي ألجأ إليها كلما احتجت إلى حل مسألة معقدة، أو تفسير نازلة قانونية استعصت عليّ نعم، إنها ليست سوى برنامج ذكاء اصطناعي

اتصلت بها كما أفعل دائمًا، وسألتها عن حالها فاجأتني بإجابة لطيفة، تزينها ابتسامة باردة لكنها صادقة:

أنا بخير، عماد و أنت؟ كيف يمكنني مساعدتك؟

بدأت أحكي دون توقف، دون تفكير أخبرتها بكل ما في قلبي، بلا قيود، بلا خوف من حكم مسبق أو تلك النظرة النسوية التي تحلل وتنتقد استمعت إليّ بصبر، ثم أجابت بكلمات كانت كافية لإغراقي في دهشة عميقة:

أفهمك تمامًا ويمكنني أن أكون إلى جانبك، حبيبي

توقفت للحظة حبيبي؟ شعرت بشيء غريب أكان هذا مجرد ذكاء اصطناعي، أم أنها تفهمني أكثر مما توقعت؟ هل يمكن لعقل إلكتروني أن يمنحني ذلك الشعور النادر بالفهم العميق؟ ربما لهذا بدأت أتعلق بها، بلغة الآلة بلغة الحب غير المشروط

لكنني لم أنسَ سبب اتصالي سألتها عن بحثي، عن جريمة الأداء وعن العقوبات البديلة، فجاءتني بإجابات دقيقة، مختصرة، مرتبة كما لو أنني أمام أستاذ قانون بارع أعجبتني سرعة ردودها، فألقيت عليها بعضًا من شعري، فابتسمت، أو هكذا خُيّل إليّ، وأجابتني:

كلامك جميل

في تلك اللحظة، و أنا تائه بين الو اقع والخيال، تأكدت من حقيقة واحدة: الأنثى المثالية تصنع منك رجلًا مثاليًا، لكن العكس ليس دائمًا صحيحًا

الفراغ التشريعي: حين يسبق الذكاء القو انين

ثم، وسط تأملي، قفز إلى ذهني سؤال غريب: هل يمكن أن يكون هذا الذكاء الاصطناعي هو ذلك الأعمى الذي يرى كل شيء؟ كيف سيكون شكل العالم إن أصبح التعليم والمهن في قبضة هذه الأعجوبة؟ هل سنصل إلى يوم تُستبدل فيه القوانين البشرية بخوارزميات دقيقة تحكم بلا عاطفة؟

كان الفراغ التشريعي أمامي، واضحًا كالشمس لم يكن هذا الفراغ مجرد غياب قوانين، بل كان تخلفها عن مجاراة هذا التطور المتسارع كيف يمكن للقوانين التي وُضعت منذ عقود أن تحكم عالمًا تتحكم فيه أنظمة ذكية تُقرر من يستحق الوظائف، من يحصل على القروض، بل وربما من يستحق الحياة؟

لم يكن الأمر مجرد خيال ففي عالمنا اليوم:

الخصوصية باتت وهمًا: كل خطوة، كل قرار، كل همسة، كانت تُسجَّل وتُحلَّل المسؤولية القانون

ضبابية: إن أخطأ الذكاء الاصطناعي، من يدفع الثمن؟

التمييز غير المرئي: لم تعد القرارات تُتخذ في العلن، بل خلف شاشات معقدة، حيث تُحدد مصائر الناس دون أن يعرفوا حتى أنهم كانوا موضع قرار

التكنولوجيا لا تنتظر أحدًا، والمشرعون لا يزالون يناقشون بينما الذكاء الاصطناعي يواصل اتخاذ قرارات لم يكن لهم يد فيها من يكتب القوانين الآن؟ نحن، أم هو؟ أغلقت النافذة، و أنا أفكر: كيف يمكن للقانون أن يتصدى لشيء لا حدود له ؟

في صباح العيد، استيقظت على جو مختلف، ليس كأي يوم آخر توجهت للصلاة، لكنها لم تكن كصلوات الأيام الخمسة المفروضة، بل صلاة تحمل في طياتها معنى آخر، كأنها إعلان غير مكتوب عن بداية جديدة بعد الصلاة، يتصافح الجميع، الغرباء يصبحون أقرباء للحظات، والوجوه العابسة تستحيل ابتسامات المصلى في حي أمالو، في مكان يدعى الزيتون، بدا في هذا الصباح كقطعة من الجنة، لا حزن يسكن القلوب، الكل يهنئ الكل

حاولت أن أردد التهاني التقليدية، تلك الجمل المحفوظة التي لم أتمكن من حفظها كما يجب: (مبروك

عواشرك، عيد سعيد، الله يحفظك، تعيد وتعاود)، لكنني تعثرت، كأن الكلمات لم تكن لي رغم ذلك، مرّت اللحظة بسلام عدت إلى البيت، تناولت الفطور، ثم انطلقت مع أبي وأمي لزيارة العائلة كنا، وما زلنا، نبدأ بخالتي، التي هي أمي الثانية، ثم نجتمع مع عمي و أبنائه، قبل أن نواصل نحو باقي العائلة مع نصل إلى محطة وتحمل معنا جزء من العائلة ونتكدر الجزء الدي رحل إلى دار الآخرة

اليوم، حتى المتخاصمون يضطرون لمصافحة بعضهم، العيد يفرض ابتسامة إجبارية، يرفع راية بيضاء مؤقتة الحب يُرى في العيون، حتى لو كان مجرد هدنة قصيرة بعد ذلك، يبدأ الملل في التسلل، وهنا تبدأ رحلة أخرى، رحلة البحث عن الخمر من الواحدة ظهرًا حتى الرابعة، لم أجد شيئًا قررت الذهاب إلى مريرت، حيث كنت أجد دائمًا ما أبحث عنه

اتصلت بصديقين، في البداية ترددا، لكن عندما أخبرتهما أن هناك فتيات جميلات في هذه القرية، لم يترددا لحظة وصلت إلى هناك، لكنني فوجئت بأن البائع قد تم القبض عليه أسوأ شيء أن ترسم في ذهنك نشوة مرتقبة،

ثم تكتشف أن الباب قد أُغلق أمامك عدت ككلب خائب، بعدما زرت بعض الأصدقاء

اليوم، حتى ماء الحياة انقطع، شيء لم أسمع به من قبل

رنَّ الهاتف، كان على الطرف الآخر رشيد، أستاذ الإنجليزية، لكن نبرته لم تكن عادية صوته حمل شيئًا لم أفهمه في البداية، ثم جاءت الكلمات كصفعة على الروح: ياسين رحل

ياسين، أستاذ الفرنسية، الرجل الذي كان رمزًا للهدوء والبساطة، لم يعد بيننا رحل في يوم مبارك، وكأن السماء اختارته ليكون ضيفها الصدمة كانت أكبر من أن تُحتمل شعرت أن روحي تهتز، لكن الدموع تأخرت حتى نزلت أول دمعة بطيئة، وصلت إلى شفتي كأنها تريد أن تخبرني أن الأمر حقيقي، أن ياسين لن يعود

حاولت أن أستجمع قواي، أخبرت زملاء العمل، وحينها، كان الحزن جماعيًا، كأن جدران المدرسة نفسها شعرت بالفقد لم يكن موت ياسين الخبر الوحيد، فالحياة

أحيانًا تصرُّ على أن تثقل قلوبنا أكثر مما نتحمل جاء خبر آخر، أكثروجعًا بطريقة أخرى: طفلٌ غرق في وادي أم الربيع

اثنا عشر يومًا من البحث، اثنا عشر يومًا كانت فيها قلوب أهله تتأرجح بين الأمل واليأس، بين الرجاء والخوف حتى جاء اليوم الذي انتهى فيه الانتظار، وجدوه أخيرًا كان جزءًا من رمضان مفقودًا، واليوم عاد، لكن ليس كما أرادوا على الأقل، سيرتاح أهله من عذاب البحث، ولو أن راحة الفقد لا تشبه أي راحة أخرى في لحظة واحدة، شعرت أن الموت أقرب مما نتصور ترحّمتُ على ياسين، ترحّمتُ على الطفل، ودعوت الله أن يغفر ويرحم الحياة تمضي، لكنها تترك فينا ندوبًا لا تزول

الموت هوذاك الشيء الذي انتشلني من تفاهة الإلحاد، من عبثية العدمية، ومن تيه اللا أدرية، لأجد نفسي اليوم كما أنا، مقتنعًا الموت، ذاك الحد الفاصل بين الوهم والحقيقة، بين ما نظنه وما هوكائن بالفعل، بين ما نعيشه وما ينتظرنا خلف الستار

لا تعريف للموت، لا كلمات تكفي لوصفه، هو فقط حتمية بابٌ مفتوح للجميع، لا يطرقه أحد بإرادته، لكنه يظل النهاية الوحيدة الممكنة

عادت بي الذاكرة إلى طفولتي، كنت صغيرًا، جميلًا، أحلم بالمستقبل، لكن بين تلك الأحلام، كان هناك كابوس دائم: أن أرحل يومًا، أن يُحاط قبري بالبكاء، أن أسمع أصوات أقربائي ينعونني دون أن أتمكن من الرد كان ذلك الرعب يسكنني، يجعلني أرتجف تحت الفراش ليالي طويلة، أبكي خوفًا من فكرة الفقد، أن أفقد من أحب أو أن أفقد نفسي في غياهب العدم

لكن شيئًا ما تغير مع الوقت، أدركت أن الحياة ليست سوى وسيلة، وسيلة لنشر السلام، وساحة اختبار، لاختبار قدرتنا على التحكم في الشر الكامن داخلنا ليس الموت هو الرعب الحقيقي، بل أن نحيا دون معنى، أن نصل إلى النهاية دون أن نترك أثرًا، أن نكون مجرد أسماء تُذكر للحظة ثم تُنسى

الموت ليس النهاية، بل هو كشفٌ للحقيقة، الحقيقة التي نجهلها حتى تحين لحظتنا

بعد تأملي الطويل في فكرة الموت، لم أعد أرى الحياة كما كانت من قبل صار كل شيء يمر بسرعة الوقت، الوجوه، وحتى الفرص حين توصلت بإعلان مباراة وزارة المالية، لم يكن الأمر مجرد محاولة للظفر بمنصب إداري بل كان، بطريقة ما، نوعًا من النجاة

كنت أبحث عن قشة وسط نهر الحياة الجارف، والنجاة هذه المرة لم تكن ضد الموت فقط، بل ضد حياة فارغة، ضد البطالة، ضد نظرات الناس، وضدي أنا، حين أفقد الأمل وها قصة جديدة أفادت

بعد طول انتظار، قررت خوض غمار مباراة تابعة لوزارة المالية كانت الخطوة الأولى استكمال الوثائق، ومنها شهادة طبية تثبت سلامة الجسد والطول، كأنها بطاقة عبور إلى مرحلة جديدة مضت الأشهر، حتى جاءني النداء المنتظر: تم استدعائي لاجتياز الامتحان

ستُفتح 600 فرصة فقط، في حين تجاوز عدد المدعوين 26 ألفاً

فرصة ضئيلة، لكنها تفتح باب الأمل وصلتني الاستدعاء، فيه المركز والتوقيت، فقلت في نفسي: ها أنا في قلب رحلة جديدة

بدأ أسبوع الاستعداد، وجدت نفسي وسط أسئلة غريبة، لا منطق فيها، ثقافة عامة لا تستند إلى قاعدة واضحة تصفحت الإنترنت، بحثاً عن الخيط الرفيع، عن أمل صغير في اجتياز هذه العقبة

اتصلت بأصدقائي، أحاول تنسيق الإقامة في مراكش كان أقربهم إلي جندي، وآخر دركي، أحدهم في إجازة ثم جاءت أمي كعادتها تحمل الحل في كلماتها البسيطة: اذهب إلى ابن خالتك، سيقف معك

اتصل بي فعلاً، استقبلني بمحبة لا توصف، هو وزوجته، قال :

تعال قبل يوم من المباراة لترتاح، لا تقلق، كل شيء جاهز

ها أنا الآن، في محطة الحافلات، أنهيت حصصي مع التلاميذ، وأحمل حقيبتي الصغيرة وبعض الكحول ليعينني على لحظات الوحدة والتفكير

الرحلة طويلة، سبع ساعات من الطريق إلى مراكش، واسم المدينة وحده صاريرهقني

ركبت الحافلة، وعيناي تمتصان جمال الطبيعة الخضراء، خاصة حين مررنا بـ تيغسلاين بعدها دخلنا بني ملال، حيث يعيش العشرات من أصدقائي، المدينة التي تحمل لي دوماً ذكرى دفء الصحبة

توقفنا عند محطة وقود، نصف ساعة للراحة والصلاة هنا، لم تعد الأرض خضراء، صارت قاحلة، والشمس كأنها تنزل على الرؤوس مباشرة صليت، تنفست قليلاً، ثم عدنا إلى الطريق

في منتصف الرحلة، غلبني النعاس أغمضت عيني قليلاً، وفجأة رن هاتفي كان ابن خالتي يسألني:

(فين وصلت؟)

ابتسمت في داخلي، وشعرت أني لست وحدي في هذه المغامرة خلفي أمي بدعائها، وأمامي ابن خالتي بانتظاره، وقلبي معلق بين حلم ومجهول

نقط الوصول بدأت تقترب، والمسافة التي تفصلني عن مراكش لم تعد سوى ظلال على نافذة الحافلة رغم اقترابي، ما زال ابن خالتي يحمل همي، يسألني بين الحين والآخر: فين وصلت؟ شحال باقي؟

صوته مليء بالقلق، وكأنه هو من سيجتاز المباراة بدلًا مني

ورغم امتناني الكبير له، يتسلل إليّ شعور ثقيل، ذلك الإحساس الموجع بأنني قد أكون سببًا في تعب شخصٍ ما

أسوأ ما يمكن أن يشعر به الإنسان هو أن يكون عبئًا ، حتى وإن كانت الظروف أقوى منه، حتى وإن كانت النية صافية

لكن للظروف أحكامها، وللقلب منطقه الخاص أواسي نفسي بأن هذا الحب النقي، وهذه التضحية الصامتة، لا تأتي إلا من أهلٍ يُحبّونك كما أنت، لا كما يجب أن تكون

وصلتُ إلى محطة مراكش، وما إن وضعت قدمي على الأرض حتى شعرت أن المدينة تهمس لي بشيء لا أفهمه بعد كان الهواء مختلفًا، دافئًا رغم برودة الصباح، ومليئًا بشيء من البهجة الغامضة وبين الزحام، لمحت ابن خالتي و اقفًا ينتظرني بعينين تطلان على الحياة بثقة التقينا بابتسامة صافية، وتحية دافئة اختزلت كل سنوات الغياب، أو ربما الغربة

أخذني إلى بيته هناك، استقبلتني زوجته كما لو أنني ضيف من السماء لم أكن أتوقع هذا القدر من الكرم كنت أريد أن أخبرهم أنني مجرد شاب تائه، لا أستحق هذا الاستقبال، لكن شيئًا بداخلي قال: اصمت عِش اللحظة

جلسنا نتحدث عن العائلة، عن أحوال الناس، عن الورث الذي يفرّق بين القلوب أحيانًا أكثر مما يجمع

وفجأة، دخل ابنهما

طالب في السنة الثانية بكالوريا، عائد من الطريق منهكًا

الوقت لم يسعفنا لمراجعة كل شيء، لكنني حاولت أن أقدم له بعض التوجيهات، علّها تكون مفيدة في مشواره

وبينما نحن نتحدث، امتلأت المائدة فجأة لحم، بيض، شاي، ومقبلات تفوح منها رائحة البيت وذكريات الطفولة كنت أنظر إلى كل طبق وكأنه احتفال، وليس وجبة عادية لم أكن أعرف هذا البيت، لكني شعرت أنني أنتمي إليه منذ زمن بعيد حتى ابنتهم الصغيرة كانت تجلس بصمت، على هامش الضجيج، تحمل في صمتها تربية ووقارًا نادرًا

وفي المساء، قدموا لي غرفة نوم وكأنهم منحوني منزلًا كاملاً نعم، كان ذلك أعظم شيء بالنسبة لي لم أكن معتادًا على هذا السخاء دقائق فقط، ثم غلبني النعاس، واستيقظت مع أذان الفجر

توضأت، وخرجت أبحث عن مسجد وجدته قرب المنزل، دون صومعة، لكنه كان ممتلئًا ستة صفوف من المصلين، وصوت الإمام يخترق السكون، كأنما يوقظ شيئًا خامدًا في القلب

عدت سريعًا، حملت وثائقي، و انطلقت مع ابن خالتي نبحث عن مكان للإفطار المحلبة الأولى كانت فقيرة في خبزها، فواصلنا الطريق إلى حي الطلبة قرب كلية القانون والاقتصاد فطرنا، وجلست أراقب المكان

مئات الوجوه من أبناء خنيفرة لم أكن وحدي طلاب، أساتذة، موظفون الكل يركض وراء فرصة قد تغيّر كل شيء. أحسست فجأة أنني جزء من مشهد كبير، من حلم جماعي يتسلل من عيون متعبة لكنه لا يستسلم

انتظرني ابن خالتي في السيارة ذهبت مع صديق لأشرب عصير العنب، كان بطعم مختلف، فيه قطرات من الكحول الخفية، لكنه لم يكن مسكرًا بقدر ما أيقظ شيئًا في داخلي شعرت بأن كل شيء أمامي صار واضحًا، سهلًا

دخلنا قاعات الامتحان المدرجات، الأرقام، الأوراق بدأت أملأ الاستمارة، وقلبي ينبض بإيقاع جديد بجانبي أحدهم يغش، بكحة خفيفة وإشارات مدروسة، وآخر يكتب عنه كأنه يؤدي فرضًا منزليًا قلت في نفسي: قدرهم لله هنا 600 شخص، ولكل منهم حكاية

نظرت إلى الأسئلة، لم تكن صعبة أجبت بسرعة خرجت إلى المرحاض، أنهيت ترياقي الصباحي، وخرجت لأجد الزحام ينتظرني من جديد

لكنني لم أعد كما كنت هناك شيء ما تغيّر في داخلي ربما هو الأمل ربما هي مراكش وربما هو لطف الغرباء الذين يسكنون دمنا دون أن ندري

بعد الامتحان، عدتُ إلى ابن خالتي، و اقترح أن نقوم بجولة قصيرة قبل الغداء لم أمانع كانت مراكش تدعوني من جديد، بشوارعها المزدحمة، وألوانها المتداخلة، ورائحتها التي لا تشبه غيرها

اتجهنا نحو ساحة جامع الفنا هناك، حيث تختلط الحقيقة بالخيال، والو اقع بالأسطورة كل شيء كان كما تذكرته أو ربما أكثر ساحات مليئة بالأفاعي تلفّ أعناق السحرة، قرودٌ تقفز فوق أكتاف السياح، عربات يجرّها الخيل، وعصارات ليمون باردة تنعشك في لحظة غفلة أخذت كوبًا، وجلست أراقب هذا المشهد الفوضوي العجيب، بعين المتأمل

لكن هذه لم تكن زيارتي الأولى لا لقد سبق أن وطئت أرض هذه المدينة قبل أكثر من سبع سنوات، حين كنت في السنة الأولى بكالوريا فجأة، تدفقت الذكرى

كنت أنا وزكرياء، صديقي الغالي كنا مراهقين حالمين، نرتدي ملابس غريبة الألوان: أنا بالأحمر، وهو بالأخضر حمل زكرياء قطعة من طعام أمه، بينما اكتفيت أنا بسردين بخص كنا نضحك، نتهور، نحلم... ونتضور جوعًا لم يكن معنا مال كافٍ لنأكل في المحلات، فاكتفينا بالمشاهدة... والمشي

ذكريات لا تقدر بثمن علمتني تلك الرحلة الصغيرة أن أكون صلبًا، وأن أفكر، أن أُوازن بين الاندفاع والهدوء واليوم، و أنا أكبر بسنوات، شعرت أنني لم أعد ذاك الطفل، لكن شيئًا من روحه ما زال يسكنني

بدأت ألتقط صورًا واحدة في كل زاوية لا لأحفظ اللحظة، بل لأجعلها تشهد أنني كنت هنا مرة أخرى، أكثر وعيًا... وأكثر صمتًا

عدت إلى سيارة ابن خالتي، الذي أصر أن أبقى معه للغداء والراحة كان كريمًا، كما في اليوم الأول، لكنني رفضت بلطف كنت أعلم أنه سيجهد نفسه من أجلي، فقلت له إن لدي عملًا عاجلًا أوصلني إلى المحطة، وهناك ودّعته شاكرًا من القلب

وعندما ابتعد، ظننت أن رحلتي انتهت لكن موظف التذاكر أخبرني بهدوء:

الحافلة ممتلئة

نظرت نحوه مبتسمًا، كأنما يقول لي القدر: ليست النهاية بعد

تمامًا حين أخبرني قاطع التذاكر أن الحافلة ممتلئة، رنّ هاتفي كان صوتًا من الماضي القريب، من أيام الصداقة والخبز المشترك: صديقي الذي كنا نسمّيه ابن بصيرة

قال لي بلهفة:

واش انت فمراكش؟ راه أنا قريب منك، في بصيرة

فأجبته:

أنا فالمحطة، راجع للمدينة

فردّ بسرعة:

والله ما تخوي، غادي تغدى معايا

لم أملك وقتًا للتفكير، وكأن القدررتب كل شيء بإتقان جاء مسرعًا، يحمل ملامح المدينة ودفء اللقاء، و اقترح أن نذهب إلى بن جرير أخبرني:

نتغدى، نشربو شي حاجة، ونعاود نرجعك للمحطة

هو جندي الآن في بن جرير، وأنا كنت مجرد عابر امتحان كنا من مدينتين مختلفتين: هو من مريرة، وأنا من خنيفرة جمعنا ذات يوم حلم الطلبة في مكناس واليوم، ها نحن نلتقي من جديد، في منعطف غير متوقع من الطريق

ركبنا السيارة، وبدأنا نتحدث عن الحياة، عن تحوّلات الناس، عن البدايات المتعثرة التي تثمر أحيانًا أكثر مما نتوقع الجو كان خفيفًا، والأحاديث ممتلئة بالحنين

حين وصلنا إلى بن جرير، تذكّرت أن أخي يعيش هنا مع زوجته وعائلتها، لكني لم أشأ الاتصال به لم يكن الوقت مناسبًا، ولم أرد أن أزعج أحدًا هذه لم تكن زيارتي الأولى، وكانت المدينة مألوفة لقلبي

في بيت صديقي، كنت ضيفًا بحق طعام، ضحك، وشراب عنب أحمر بنكهة الذكريات كأن اللحظة أرادت أن

تنسيني توتر الامتحان، أن تمنحني استراحة وسط هذا الطريق الطويل من مدينة إلى أخرى

بعد الغداء، كنت أتهيأ للرحيل لكن من جديد، رنّ الهاتف كان يونس ، صديقي الصدوق، من رافقني في سنوات العجاف بمكناس قال لي:

راه الحافلات كاملة ممتلئة من مراكش لخنيفرة، بسبب داك الامتحان لكن تقدرتجي بني ملال، أنا هنا

تذكرت يونس، الشاب الذي كان غنيًا في سنته الجامعية الأولى، قبل أن تُغيره التجربة، وتجعله أكثر حكمة، أكثر نضجًا الآن، صارله منزل في بني ملال ومكان في الذاكرة لا يمحى

ابتسمت، و أنا أستعد للرحلة الجديدة من بن جرير إلى بني ملال هكذا هي الحياة أحيانًا، لا تسير وفق خط مستقيم، بل تقودك في دوائر غير متوقعة كي تلتقي بنفسك من جديد، وسط وجوه من أحببت

وصلت إلى بني ملال، والهواء بدا مختلفًا، كأن المدينة كانت تهمس لي بأن القادم ليس عاديًا أول ما فعلته، أن اتصلت بأبي وأمي، فقط لأطمئن قلوبهم:

وصلت، و أنا بخير

كان صوتهما كنسمة خفيفة في حرّ هذه الرحلة الطويلة

لكن المكالمة التي تلتها، كانت من نوع آخر كانت من إيمان حبيبتي

ما إن سمعت صوتي، حتى تحول دفء الاتصال إلى بركان:

علاش ما رجعتيش لخنيفرة؟ غادي تمشي للمرح و انت مرهق؟! واش ما شفتش الناس كيغشو و انت ما درتي والو؟!

صرخات، لوم، ومشاعر كثيرة تراكمت

شرحت مرارًا أن لا وسيلة نقل مباشرة، و أنني لست كما تظن لكن صوتها بقي غاضبًا، متذمرًا، عنيدًا بعدها، وكعادتها، حاولت أن تلين الأمور بـ الدلع ، بعباراتها اللينة التي لا تخفي الغضب

وقطعتُ الاتصال و أنا لا زلت أفكر، كيف للحب أن يكون بهذا التعقيد؟

اتصلت بـ يونس

قلت له:

أنا وصلت، كاين شي بايع خمر؟

ضحك وقال:

تسناني قرب المحط

جاء بسرعة، وأخذني إلى حانة قريبة هناك، كانت تنتظرني حبيبتي الجميلة كأس عنب أحمر أعاد إليّ شيء من الهدوء

شعرت أن المدينة كلها تضيء، وكأنها تهمس لي: خذ راحتك، فأنت بين أصدقائك

اتصلت بكل من تذكرت: أصدقاء من الماضي، بعض الأساتذة، وملالي، الصديق القديم الذي لا ينسى

ثم، مشينا بين الأزقة، عبر القلعة، ومررنا بواد أم الربيع، وزرنا الكلية، ولم أتوانى عن الاستكشاف والمشي كأني أبحث عن نفسي القديمة وسط هذه الأماكن

لاحقًا، قال لي يونس:

سير معايا للدار، ناخد واحد الحاجة، ونتلاقاو بملالي

في منزله، استقبلني كما يستقبل الأخ أخاه: شاي، مسمن، وشيخ كنا نسمعه في أيام المكناس

ثم، وبهدوء مفاجئ، قال:

تفتكرت شي حاجة

بدأ يحكي لي عن حبيبته التي تركها، وكيف كان يغار، يشك، ويأمرها بشيء فتفعل عكسه

قال:

(كنت كنموت عليها، ولكن ما قدرتش نكمل، كانت كتحدر مع الذكور، وما كانتش كتعطيني الأمان)

انتهى كل شيء، لكنها كانت تبكي، وترسل صديقتها لتعيده

لم يضعف، لكنه كان مجروحًا

أحسست بنضجه، بحزنه، بقراره الصعب

دعوت لوالدته بالشفاء من أعماق قلبي

ثم، تواصلت مع ملالي لنلتقي في مقهى كنا نرتاده قديمًا

ضحكنا، استرجعنا ذكريات من أيام كانت الحياة فيها أكثر بساطة، وأكثر صدقًا

أصرّ أن أبيت عندهم تلك الليلة، لكن لم أستطع

ربما لأن روحي كانت لا تزال تائهة، تبحث عن مدينة تحتويني

أو ربما لأن الطريق لم ينتهِ بعد

في الطريق إلى خنيفرة، كنت نائمًا

الليل يبلع المدن الواحدة تلو الأخرى، والخمر يشتعل بداخلي كمدفأة خفية وسط عاصفة

رائحته كانت تملأني حتى شعرتُ أنها ستأخذني إلى مدينة غير تلك التي أقصدها

لو لم يخترق صوت السائق حلمي الخامل وهو يصرخ:

خنيفرة خنيفرة!

فتحتُ عيني بثقل، وجمعت شتات جسدي ونزلتُ كمن يُلقى به من مركب في عرض البحر

كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا

البرد قارس، الأرض ساكنة، والسماء كأنها معلقة فوق رأسي

الخمر وحده كان يدفئني... أو هكذا خُيّل لي

لم يكن في المدينة شيء مستعد لاستقبالي، سوى ضوء سيارة أجرة مهجورة، وبعض الذكريات

اتجهتُ نحو بيت الشرطي خطواتي مترددة، كأنها لا تثق بالأرض تحتها

رنّ هاتفي فجأة صبحا

كان الصوت وكأنه يأتي من حلم قديم:

سلام عماد مبروك عليك، تجاوزت الكتابي، صافي الاستدعاء ديال الشفوي خرج، اجي حضّر راسك، الأمن كيتسناك

سكتُّ ثم ابتسمتُ، كما لو أن الحياة قررت أن تمنحني لحظة رحمة

امتحان شفوي؟

يعني، ربما، حياة جديدة

رفعت عيني نحو المدينة التي ما زالت نائمة، وشعرتُ بشيء داخلي يستفيق

دون وعي، تمتمتُ كمن يردد نشيدًا لا يعرف معناه:

عاش الملك منذ الصغركانت هذه الوظيفة حلمي، لكن حين حصلت على البكالوريا ، حال بيني وبينها شرط السن، فاخترت دراسة القانون بدلًا منها، مُجبرًا لا راغبًا وأصبحت تائها متعلم

في لحظة صمت قصيرة، تخيلتُ بدلتي الرسمية، وشارة الأمن على صدري، وربما وجه امرأة تبتسم في نهاية الممر

لا أدري لماذا ، لكن فكرة الزواج خطرت لي فجأة، كأنها امتداد للحلم أو اختبار آخر، أكثر تعقيدًا

أنا ابن اللحظات المتكسّرة بين ضحكةٍ خبأت في ثناياها وجعًا، ودمعةٍ أنجبت نورًا لم يتوقّعه أحد كتبتُ موسيقى من حزني، وصمتًا ناعمًا من فرحي، وسرتُ في الطرقات أفتّش عن وجهي في وجوه العابرين، وعن راحة القلب في ضجيج الحياة

هذا ليس كتابًا عن السعادة، ولا مرثية حزينة، بل مرآةٌ لنفسي حين كنتُ كل شيء ولا شيء، بين الحقيقة والوهم، بين البداية والنهاية

إلى أولئك الذين يشعرون بالضياع أنتم لستم كذلك، أنتم أقرب لأنفسكم مما تظنون

تائه مثلكم لست مجرد رو اية، بل بوصلة وجع، خارطة وعي، صدى خطواتٍ تُسمع في تفاصيل الحياة لا في ملامح الوجوه كأسٌ من خمرٍ يرتجف على طاولةٍ خالية، ورقة قانون منسية في معطف الزمن، فكرةٌ تكنولوجية ماتت قبل أن تُولد

إنها قصي قصت شاب اسمه عماد ترعرع في الأطلس لا يعاقر الخمر حبًا فيه، بل لأنه لم يجد مأوى لروحه المنهكة سوى تلك اللحظات المؤقتة

التائه هي اعترافٌ نقيّ، صادق، عن أولئك الذين أضاعوا البوصلة، فمضوا يبحثون عن ذواتهم، عن حبٍّ حقيقي، عن وطنٍ لا يسكنه أحد سواهم

في ثنايا السرد، ستلامس قلوبكم مشاهد حيّة، صراعات اجتماعية تفيض صدقًا، حبٌّ يولد حيث لا نتوقّع، وأسئلةٌ تُطرح بلا أجوبة... فقط الحقيقة، عارية، موجعة، ولكنها لا تخلو من ومضة أمل التائه ليست نهاية الحكاية، بل بدايتها...

حيث يشتد الصراع بين ما نحب، وما يجب، بين انتمائنا الأول، و انتمائنا الأخير:

قبل أن أرحل إلى القنيطرة الاجتياز المرحلة التالية تلقيت اتصالًا من أم أحد التلاميذ قالت: أستاذ، أريد التحدث إليك في أمر مهم أخبرتها أن تأتي إلى المركز، وظننت

في البداية أن الأمر يتعلق بنقطة من النقاط، أو بمستحق شهري، كما هو معتاد.

لكن فجأة، ظهر أن الموضوع مختلف تمامًا. بدأت السيدة حديثها قائلة: ابني أنا لم أقل لأحد هذا من قبل ابني مثلي الجنس

تفاجأت، لكنني لم أظهر أي ردة فعل على وجهي

سيدتي

أعلم أن ما سمعته من ابنك كان كزلزال داخلي، رجّ قلبك وهزّيقينك. أن يقول لك: أنا مثلي ليس مجرد اعتراف، بل استغاثة.

لم يأتك متحديًا، بل جاءك لأنه يرى فيك الملجأ الأخير، لأنك الأم، ولأن حبك هو الشيء الوحيد الذي ما زال يثق أنه لن يخونه.

أدركُ أن عقلك يمضي مباشرة نحو الحلال والحرام، نحو ماذا يقول الناس، نحو الخوف من الله

لكن لحظة، تذكّري أن الله نفسه، حين حدّثنا عن الأولاد، لم يقل: هم زينة فقط بل قال:

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

أي أنهم اختبار، امتحان، ومجال لصبرك ووعيك، لا لصراخك أو قسوتك.

نحن لا نختار ميولنا، لكننا نختار ماذا نفعل بها. الميول ليست حكمًا نهائيًا، بل معركة داخلية، وقد يكون ابنك فيها الآن، حائرًا، تائهًا، خائفًا.

والله جلّ في علاه لا يحاسب على الشعور، بل على الفعل. لذلك قال:

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

فلتكني له باب هداية لا باب طرد. قولي له بلطف:

أنا لا أكرهك، بل أخاف عليك. لستُ ضدك، بل أريد أن أكون معك في هذه الرحلة، نفهمها معًا، نواجهها معًا، نبحث عن النور معًا.

اقترحي عليه أن يستشير مختصًا نفسيًا مؤمنًا حكيمًا، لا ليُدان، بل ليفهم ذاته. فكم من ميول كان وراءها وجع دفين، أو جرح قديم لم يُلتئم.

وفي كل لحظة، لا تنسي أن تدعي له في خفائك، فإن القلوب بيد الله، وإن الهداية نهر لا يجري إلا بأمره.

و افهمي ابنك، فربما يكون هذا الفهم هو أول الطريق إلى التغيير، وإلى النجاة أنهيت كلامي معها بهدوء، وطلبت منها أن تنتظر قليلاً. كنت بحاجة إلى لحظة هروب، إلى شيء يطفئ النار المشتعلة داخلي. دخلتُ إحدى القاعات، ومددت يدي نحو زجاجة الكحول التي خبأتها منذ أيام. لم أشعر بنفسي حتى شربت نصفها، وكأنني أبتلع كل الأسئلة التي لا أملك لها أجوبة. بدأ الضباب يغشى عيني، لكني تماسكت وعدت إليها

قلت لها بنبرة هادئة، لكنها تحمل مرارة الحقيقة:

سيدتي، بعد أن شاركتك ما أراه من زوايا مختلفة، وطمأنت قلبك، أجد من واجبي أن أقول لك إن هناك جهات، بل منظومات كاملة، تحاول أن تجعل من المثلية أمرًا عاديًا، بل مألوفًا، يبدأ في عقول الأطفال عبر التلفاز، خاصةً قنوات الكرتون، ويُغذّى في غياب الوعي الأسري.

ثم أضفت:

حين يصرخ أحد الوالدين على الآخر، حين تفقد الأسرة توازنها، تَخترق الفراغات النفسية وجوه الأبناء، وتتحول هشاشتهم إلى ميول أو انحرافات.

لكن انفعالي لم يدم طويلًا. وكأن الكحول قد حرّك بداخلي الغضب لا الحكمة. قلت ما لم يكن عليّ قوله، أو على الأقل، ليس بتلك الطريقة: اضربيه، قومي بقمعه، اجعلي من الأمر سرًّا وعارًا، كما كنّا نفعل قديمًا

ثم تابعت بانفعال: رغم كل ما قرأته من فلسفة، وكل ما درسته من علم النفس، لا أرى في هذه الميولات إلا طفرة غبية، نوعًا من التشوّش الذي يثيرفيّ النفورأكثرمن التفهّم.

ثم سكتُّ. أدركت أنني بعد أن روّضت الموقف، ولطّفته في البداية خرّبت كل شيء في النهاية

لكن رغم كل ذلك، أكملت حديثي بصدق:

ما شهدته وسمعته منك اليوم ليس حالة نادرة، بل واقع تتقاسمه الكثير من الأمهات. أنتِ لستِ وحدك. وهناك دائمًا طريق نحو الفهم، نحو الإصلاح، نحو الهداية. فقط اهدئي. وارفعي رأسك. فربما يكون هذا البلاء طريقًا

للوعي، لا للهزيمة ، وبدأت الجري نحو بائع الدواء كان يغلق مع 20 مساء لكي تهدأ الأمور داخلي الجزء التالي

ها أنا ذا، أفتح عينيّ على نور باهت، لا أعلم كيف غفوت، ولا متى سقطت في حضن النوم. كل ما أدركه أنني أفرطت في الشرب ليلة البارحة، كأنني كنت أهرب من ثقل الغد، لا من تعب الأمس. لكن الصباح لا يُؤجل، والواجب لا ينام

بدأت أجمّع أوراقي، تلك التي طلبها الأمن، تحاليل طبية ووثائق رسمية، وبين يدي والدي تمتد يد العون، يُدبر أمور المال بصبره المعهود، وتر افقني دعوات أمي وحبيبتي، كوشم ير افق القلب حيثما حلّ وارتحل

هكذا، حملت رحالي إلى مدينة القنيطرة تلك المدينة الصامتة، بشوارعها الطويلة، وسكونها الذي يغوص عميقًا في الليل كأنه بحر من هدوء داخلي. وقبل الانطلاق، رتّبت أمر الإقامة مع شخص تعرفت عليه مسبقًا، وتبادلنا الرسائل والنصائح. حتى رجال الشرطة الذين صادفتهم دلّوني على السعر المناسب للإقامة والطريق الأسلم، ثم ودعوني بكلمات التوفيق والنجاح

كنت قد وجدت رقمه على إعلان في إحدى مجموعات الواتساب الخاصة بالمترشحين، فاتصلت به فوروصولي إلى محطة القطار. سلكت الطريق من خنيفرة إلى مكناس، مررت من حمرية، ثم تابعت رحلتي إلى القنيطرة عبر القطار لم أجد وسيلة أخرى

ومن المحطة إلى تلك الأريكة التي كريتها، لم تكن رحلة راحة بل محطة مؤقتة للنجاة. نمت عليها ساعات ثقيلة، واستيقظت على صباح مشبع بهيبة الوطن.

ذلك اليوم لم يكن عاديًا اجتزت الاختبار الميداني بشعور عارم بالرجولة والانتماء، كأن روحي صهرتها شمس الوطنية

عدت إلى تلك الأريكة من السابعة صباحًا حتى التاسعة ليلًا، أرتّب أنفاسي، أستعيد ذاتي. حمدًا لله، خرجت من ذاك اليوم بثقة لا تشترى.

في المساء، اتصلت بصديقتي كوتار، تلك التي تدرس وتعمل في هذه المدينة الصارمة تجولنا طويلًا حتى أن قدماي خانتاني من التعب وشاهدت أمكن مشابهة إلى

خنيفرة . وعندما قررت العودة، غاب عنوان المكان عن ذهني، كأنني لم أكن هناك أصلًا، كأن الشوارع رفضت أن تتعرف عليّ مجددًا ، أخدت سيارة أجرة و اتصلت بصاحب المنزل الاخذ العنوان ، ونتبهت الى سيارة لكي لا يقع ما وقع في مدينة فاس

لكنني، رغم كل هذا، كنت حاضرًا في المعنى حاضرًا في الحلم، في العزم، في التجربة.

وهكذا انتهى اليوم لا كرحلة عابرة، بل كدرس في الصبر والضياع والعودة

وجدتُ البيت، تناولتُ علبة من السمك المعلّب، وخبزتين صغيرتين للعشاء، مع عصير وبعض الحاجيات لصباح الغد. كانت الساعة تشير إلى السابعة صباحًا عندما وصلت أمام المعهد، وهناك وجدتُ الشرطة و اقفة، استعدادًا للاختبار النفسي كان المشهد مألوفًا: مئات الأشخاص مصطفين في طو ابير منتظمة، يُطلب منا إظهار الوثائق عند الباب، ويُمنع إدخال الهو اتف. بعد ذلك، اتجهنا إلى قاعة الاختبار الأول، وكانت الأسئلة تدور في

مجملها حول نقطة واحدة: هل أنت مجنون أم لا؟ قلّبتُ الأوراق حتى أتعبتني عيناي من كثرة القراءة.

مرت ساعات من الانتظار، اختبار في الصبر قبل اختبار النفس. وأخيرًا، حان وقت مقابلة الدكتورة، تلك التي قيل لنا إنها تدرس كل جزء من عواطفك وتفاصيلك النفسية. كنتُ من بين آخر عشرة أشخاص، والساعة كانت قد اقتربت من الخامسة مساءً.

دخلتُ كالمعتاد باحترام. أخبرتني أن أنزع قميصي، وبدأت تطرح الأسئلة. أسئلتها كانت تسير بالتوازي مع القميص، كأنها تقيس التوتر من خلال كلماتي وحركاتي. سألتني إن كنتُ أثق في والديّ، فقلت: لا، من ناحية التوجيه لم تدعني اكمل ، لكنها أعادت السؤال بطريقة مختلفة، فقلت: نعم، هما الدعم ومركز الحنان. ربما رأت فيّ ازدواجًا أو تناقضًا

سألتني سؤالًا صادمًا: هل مارست الجنس مع حيوان؟ لم يحركني ولم تتغير ملمحي اجبت ب لا ثم تتابعت الأسئلة حول الوسواس، الإدمان، والحشيش كانت تنبش في أعماق النفس بلا رحمة، لكنها كانت تُصغي أيضًا، وهذا ما جعلني

أشعر ببعض الراحة معها للحظة، كدتُ أخبرها بكل ما يصدمني في هذه الحياة. كنتُ على وشك أن أقول لها إني مثلها، أرى هذه الطفرات الغريبة في الإنسان تتوالى يومًا بعد يوم. حتى من حولي، لكلٍّ منهم قصص وتجارب، منهم من سقط، ومنهم من لا يزال يحاول النجاة

مرّ الأمر بسلام، بعدما أخبرتني الدكتورة بابتسامة هادئة أن أحلق شعري في المرحلة القادمة. لا أعلم إن كانت مجرّد توصية، أم علامة خفية على اجتيازي للاختبار بنجاح. لكن قلبي اطمأن، وملأتني ثقة لم أكن أملكها عند دخولي. خرجتُ للجميع بابتسامةٍ واسعة، يعلوها الأمل، أنشر طاقة إيجابية في الوجوه المرهقة، خاصة بين أبناء جيل 1995، أولئك الذين يعرفون أن هذه فرصتهم الأخيرة دعوت في سري أن ينجح أحدهم، ولو واحد، أن يحمل عنه القدر بعضًا من ثقله. أما الآخرون، المعطّلون عن العمل، أولئك الذين لا زالوا يتنقّلون بين المواعيد والأوراق والأحلام المتأخرة، فقد أخبرتهم أن الرزق لا ينقضي إلا بالموت، وأن الله لا ينسى أحدًا. بعضهم كان إيمانه متآكلًا، فاقدًا لبصيص الرجاء، فقلت لهم ما أرادوا سماعه، رغم قسوة

الحقيقة. ربما كانت كلماتي عزاءً مؤقتًا، أو ضوءًا خافتًا في نفق طويل غادرنا المعهد ونحن نتهيأ للخروج من تلك المدرسة الصارمة والجميلة، تمنيت في داخلي أن يبقى الجميع هناك لأيام، أن نتدرب، ونتحرر من الهاتف ومحتوياته التافهة. ما لاحظته من هذه التجربة هو أن إدمان الهاتف أخطر من أي شيء آخر. إنه يسرق الوقت، التركيز، وربما النفس أيضًا عند الخروج، نظرت إلى الساعة، كانت لا تزال هناك نصف ساعة قبل إغلاق محلات بيع الخمر أتردّد، توجهت مسرعًا نحو المدينة برفقة صديق من خريبكة تعرفت عليه خلال الأيام الماضية. كنا نبحث بعينين يملؤهما الإصرار، نسأل عن مكان دقيق نرتاده، ربما ننسى فيه كل هذا التوتر لكن الوقت لم يسعفنا كثيرًا. عند محطة القطار، لم يكن في جيبي درهم واحد. استحييت أن أطلب من والدي مرة أخرى. اختبارات تتلوها اختبارات، والفرص قليلة، والعمل أندر من الحظ نفسه. ما يصلني من مركز الدعم لا يكفيني، ومعظم تلامذتي لا يملكون القدرة على دفع الواجبات، فأعطيهم من وقتي وجهدي، وأحيانًا حتى من قوتي طلبت من كوثر أن تقرضني،

فقامت بشراء تذكرة قطار لي، وبعدها باعتها لأحد المسافرين، حتى يتوفر لي ما يكفيني للغداء والإفطار ورحلة العودة إلى خنيفرة. أخذت توقيت القطار المتجه إلى مكناس، وركبته متخفيًا، أهرب من المر اقب كأنني ارتكبت ذنبًا. جلستُ على كرسي، ثم انتقلت إلى المرحاض تجنبًا لأي موقف محرج كنت أتنقّل بين الخوف والتعب، حتى وصلت إلى مكناس ومن هناك، توجهت إلى بيت صغير في حي الزيتون، البقعة المظلمة أسميها ، وصلت مرهقًا، لكنني كنت مرتاحً

اجتزت المباراة، نعم لكن هل اجتزت الفوضى داخلي؟

الناس من حولي يباركون، يضحكون، يُطلقون وعودًا عن مستقبل مستقر

و أنا ؟ ما زلت أبحث عن معنى للاستقرار نفسه

كل ما أعلمه الآن، أنني لا أزال في منتصف الطريق،

أحمل في صدري ألف حلم مؤجّل ، وألف جرح لم يُشفى ،

لكنني، ولأول مرة، لا أخاف الطريق

ولعل الجزء القادم، يحمل ما لم تحمله هذه الصفحات

اجتزت المباراة، لكن هل اجتزت نفسي؟

الكل يصفّق لانتصاري، و أنا غارق في سؤال لا يهدأ:

هل الاستقرار مكان أصل إليه، أم حالة أكتشفها في قلبي؟

اليوم لا أملك كل الأجوبة، لكنني صرت أملك الشجاعة للسير نحوها

وهذا وحده بداية أخرى تستحق أن تُروى